

مارتياليس شاعرًا للبلاط بين الادعاء والحقيقة

على حسن عبد الجيد محمد

كلية الآداب، جامعة عين شمس

alyhanoun@hotmail.com

الملخص: نظرًا لوجود زعم سائد بين جمهور الباحثين والدارسين بأن مارتياليس شاعر للبلاط، أدت بالبعض إلى توجيه اتهامات عديدة له بأنه متملق انتهازي ومتجرد من المبادئ ومداهن لدوميتيانوس وكل أصحاب النفوذ في عصره، وإن كانت هذه الاتهامات التقليدية ضده قد بدأت في الانحسار اعتبارًا من نهايات القرن الماضي، من خلال بعض الدراسات التي اقتصر على بعض الإبيجرامات حاولت من خلالها تنفيذ اتهامات التبعية وتملق البلاط التي أثقلت كاهل مارتياليس، ووضعت مشكلة علاقة مارتياليس بدوميتيانوس في طريقها الصحيح، بل حاولت كذلك إثبات أن الشاعر لم يكن شيئاً من جراء إعجابه بدوميتيانوس، ومن هذا المنطلق، سنقوم في هذا البحث بإمعان النظر للمرة الأولى في كل الإبيجرامات التي يشير من خلالها مارتياليس بشكل مباشر أو غير مباشر إلى أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية، حيث إننا لم نعثر على مثل هذه الدراسة في كل ما كتب عن مارتياليس من قبل حتى يومنا هذا، وكل ما يمكن القول بوجوده يتمثل في إشارات متفرقة بين ثنايا بعض الدراسات، ونظرًا لأن الإبيجرامات التي سيتناولها هذا البحث في مجملها سياسية، فإن هذا البحث يحمل طابع الدراسة الأدبية التاريخية، ولذا فإنه سيتناول فكر وموقف مارتياليس السياسي تجاه أباطرة السلالة اليوليوكلاودية، ومن خلال هذا الموقف سيحاول كذلك توضيح مدى صحة الانطباع الذي يسيطر على الباحثين حتى يومنا هذا بخصوص موقف مارتياليس السياسي تجاه دوميتيانوس.

الكلمات الدالة: مارتياليس، الإبيجراما اللاتينية، قياصرة السلالة اليوليوكلاودية، يوليوس قيصر، أوغسطس، كلاوديوس، نيرون، العصر الإمبراطوري

Martial, The Poet of the Court between Allegation and Truth

Aly Hassan Abdel-Gayed Mohamed

Faculty of Arts, Ain Shams University

alyhanoun@hotmail.com

Abstract: Owing to the existence of widespread claims among researchers and scholars that Martial was a poet of the court, leading some to accuse him of being an opportunist, a stripper of principles and a flatterer of Domitianus and all influential people of his time; although these traditional accusations against him have begun to recede from the end of the last century, through some studies, which were limited to some of the epigrams tried to refute accusations of dependency and blarney the court that burdened the Martial, and put the problem of Martial' relationship with Domitianus in the right direction, even tried also to prove that the poet did not win anything from his admiration for Domitianus. From this point on, in this research, we will examine for the first time all the epigrams in which Martial refers directly or indirectly to the emperors of Juli-Claudian Dynasty; since we have not found such a study in all literature written about the Martial until today, except merely some sporadic references between the folds of

some studies. Since the epigrams to be dealt with in this study are all political, this research bears the character of historical literary study. It will therefore address the political thought and attitude of Martial towards the emperors of the Juli-Claudian Dynasty. From this perspective, it will also attempt to explain the validity of the impression that has dominated the researchers to this day regarding Martial' political attitude towards Domitianus.

Keywords: Martial, Latin Epigram, Julio-Claudian Dynasty, Iulius Caesar, Claudius, Nero, Imperial age.

ساد زعم بين جمهور الباحثين والدارسين بأن مارتياليس شاعر للبلاط، وكيلت إليه اتهامات عديدة بأنه متملق انتهازى ومتجرد من المبادئ ومداهن للأباطرة الرومان وكل أصحاب النفوذ في عصره. ومن ثم سنقوم في دراستنا هذه بإمعان النظر للمرة الأولى في كل الإبيجرامات التي يشير مارتياليس من خلالها بشكل مباشر أو غير مباشر إلى اباطرة السلالة اليوليوكلاودية. حيث إننا لم نعثر على مثل هذه الدراسة في كل ما كُتب عن مارتياليس حتى يومنا هذا، وكل ما يمكن القول بوجوده يتمثل في إشارات متفرقة بين دقات بعض الدراسات. وتتضمن العديد من الإبيجرامات، التي سنتناولها في دراستنا هذه، إشارات لدوميتيانوس أو تستلزم تفسيراً لأحداث من عصره، وبهذه الطريقة فإن هذه الدراسة بصدد محاولة النظر في مدى صحة الانطباع الذي يسيطر على الباحثين حتى اليوم بخصوص موقف مارتياليس السياسي تجاه دوميتيانوس من خلال إشارات الضمنية لأباطرة السلالة اليوليوكلاودية¹. ونظراً لأن الإبيجرامات التي سنتناولها في هذه الدراسة في مجملها إبيجرامات سياسية، فإن هذا البحث يحمل طابع الدراسة الأدبية التاريخية.

وقبل بدء الدراسة التحليلية لإبيجرامات مارتياليس نعرض لوجهات النظر الحديثة في الاتهامات الموجهة لمارتياليس، فلقد بدأت الصورة السائدة بين جمهور الباحثين عن مارتياليس كشاعر للبلاط، تتغير فعلياً اعتباراً من نهايات القرن الماضي. لقد بدأت الاتهامات التقليدية الموجهة إليه في الانحسار عندما ناقش الباحث White رسالته العلمية لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٧٢، ومن خلال إحدى الأوراق العلمية الباحثة Szelest². فالأول يفند اتهامات التبعية clientela التي أثقلت ظهر مارتياليس وكونه شاعراً للبلاط، بينما الثانية وضعت مشكلة علاقة مارتياليس بدوميتيانوس في طريقها الصحيح وعلى النقيض حاولت اثبات أن الشاعر لم يجن ثمرة إعجابه الخاص بدوميتيانوس.

ولقد تواصل إبطال هذا المفهوم التقليدي من خلال أطروحة دكتوراه قيمة عام ١٩٧٨ للباحث Garthwaite³، والتي إن كانت مقصورة فقط على الكتابين السادس والتاسع، فإنها ألقت الضوء على جرأة مارتياليس على انتقاد أفعال دوميتيانوس في إبيجرامات محددة. وفي النهاية يميز Hofmann⁴ بين ثلاثة مراحل في موقف الشاعر تجاه

¹ يتطلب الوصول بصورة مكتملة حول موقف مارتياليس من دوميتيانوس القيام بتحليل كل الإبيجرامات ذات الصلة، وهو أمر لم يحدث من قبل إلا في بعض أعمال متفرقة.

² Peter White, "Aspects of Non-Imperial Patronage in the Works of Martial and Statius" (PhD Diss., Harvard Univ.: 1972); H. Szelest, "Domitian und Martial," *organ Polskiego Towarzystwa Filologicznego* 62 (1974): 105-114.

³ John Garthwaite, "Domitian and the Court Poets Martial and Statius" (PhD Diss., Cornell Univ. 1978).

⁴ Walter Hofmann, "Martial und Domitian", *Philologus* 127 (1983): 238 – 246.

الأباطرة الفلافيين من خلال إطلالته على عشرة إبيجرامات لمارتياليس (تتوزع ما بين كتاب المشاهدات Liber Spectaculorum حتى الكتاب التاسع)، تظهر المرحلة الأولى في كتاب المشاهدات، والثانية في الكتب السبعة الأولى، والمرحلة الثالثة في الكتابين الثامن والتاسع. في المرحلتين الأولى والثانية يتسم موقف مارتياليس تجاه الفلافيين بالصرامة والمبادئ الأخلاقية التي قادتته إلى صياغة رأيه الشخصي حتى ولو كان ذلك يمثل خطراً عليه، وعلى النقيض في المرحلة الثالثة في الكتابين الثامن والتاسع تتراجع المبادئ الأخلاقية ويتحول الشاعر إلى متعلق يصعب التحكم فيه، ومن غير المؤكد إن كان يقصد الكثير مما كان يكتبه.

ويأتي الرأي الأخير لـ Sullivan والذي يلقي الضوء عمومًا على موقف مارتياليس السياسي تجاه مؤسسة السلطة، التي نطلق عليها عادة السلطة الإمبراطورية. وخلاصة رأيه عن مارتياليس "أنه لا يتعامل مع الفكرة المبتدلة الخاصة بإعادة إحياء الجمهورية برغم ثنائه على بعض بطلات العصر الجمهوري، مثل بوركيا Porcia (1.42).¹ كما يشير إلى أن آراء مارتياليس تتوافق مع تلك التي عبر سينيكا عنها في عمله "عن الرحمة De Clementia"، وكذلك تتسجم مع الأفكار الرواقية عن الملكية، والتي بمقتضاها لا بد أن يكون الحاكم رحيماً وحصيفاً ولديه من الخصال الملكية ما يمكّنه من العناية برعاياه، وكذلك لا بد أن يتمتع الحاكم بالإحترام، وأن يحظى بالإعجاب كما لو كان إلهاً. أما الحاكم الشرير والقاسي، مثل نيرون، يجب التخلص منه أو على الأقل فإن موته مرحب به. نلمح الدلائل على موقف مارتياليس هذا في إبيجراماته المتأخرة الموجهة إلى كل من نيرفا وترايانوس (10.34, 11.4, 12.4, 12.15). ومن ثم ليس هناك مبرر لإتهام مارتياليس بالأنانية أو عدم الإخلاص السياسي أو النظر إلى كتاباته الايجابية المتعلقة بدوميتيانوس بعين الشك والسخرية.²

تشكل إبيجرامات مارتياليس، محل الدراسة الحالية، من تلقاء نفسها وحدة عضوية قوية من حيث الأفكار الرئيسية، وتمثل في نفس الوقت مصدراً هاماً ومثيراً فيما يتعلق بالتطور التاريخي لمفهوم الحاكم princeps وعلاقته بأسلافه وفيما يخص فكرة الحرية libertas والأفكار السياسية التي سيطرت بشكل عام على الأعوام الأولى من عمر الإمبراطورية. ومن ثم فإن النتائج التي سنتوصل إليها هذا الدراسة لنا ستلقي المزيد من الضوء حول فكر وموقف مارتياليس السياسي تجاه أباطرة الاسرة اليوليوكلاودية، وكذلك موقفه من الإمبراطور دوميتيانوس ومن خلالها سنحاول توضيح مدى صحة الاتهامات الموجهة لمارتياليس.

مارتياليس ويوليوس قيصر

من إجمالي الإبيجرامات التي يشير فيها مارتياليس - على نحو مختصر أو مفصل - إلى يوليوس قيصر³، اثنتان مثيرتان للانتباه. حيث نجد في أولهما ما يلي:

¹ John Patrick Sullivan, *Martial: The Unexpected Classic* (Cambridge: Cambridge University Press, 1991), 129.

² Sullivan, *Martial*, 129

³ نعتمد في نصوص مارتياليس على طبعة Loeb التالية:

Shackleton Bailey, *Martial, Epigrams*, 3vols (Cambridge: Harvard University Press, 1993).

الإشارات الخاصة بيوليوس قيصر في إبيجرامات مارتياليس هي:

I.117.10: forum Caesaris, VI. 32.5: Cato, dim vivit sane vel Caesare maiorm, 38.6: Iulia tecta, IX. 61, 70.3: dum gener atque soccer diris concurreret armis, X.62.1: o Iuliarum dedecus Kalendarum.

وأخر قصيدة إبيجرامية تشير إلى يوليا Iulia ابنة قيصر:

XI.104.17ff.: pedicure negas: dabat hoc Cornelia Graccho, / Iulia Pompeio...

Cum dubitaret adhuc belli civilis Enyo
Forsitan et posset vincere mollis Otho,
Damnavit multo staturum sanguine Martem
Et fodit certa pectora tota manu.
Sit Cato, dum vivit, sane vel Caesare maior: 5
Dum moritur, numquid maior Othone fuit? (VI.32)

برغم أن إنيو Enyo (ربة الحروب الأهلية) كانت لا تزال مترددة،
وربما كان في استطاعة أوتو Otto الرقيق تحقيق النصر،
بيد أنه كان يرفض الحرب التي قد تؤدي إلى دماء غزيرة،
فطعن صدره كله بيد عازمة،
ليكن كاتو في حياته أفضل حتى من قيصر،
لكن عندما لقي حتفه، هل كان أفضل من أوتو؟^٥

تشير الإبيجراما إلى الإمبراطور أوتو Otto والحرب الأهلية لعام ٦٩ م، الذي يطلق عليه مارتياليس "العام الطويل ingens annus" في موضع آخر^١. ولقد قام أوتو بتأييد من الحرس الإمبراطوري باغتيال جالبا Galba، الذي نصبه السناتو إمبراطورًا، والذي كان يتولى حتى ذلك الوقت قيادة القوات في إسبانيا^٢، ولقد اصطدم أوتو بفيتيلليوس Vitellius، الذي قامت قوات الراين بتتصيبه إمبراطورًا^٣.

تشير الأبيات الأربعة الأولى من الإبيجراما بشكل خاص إلى الصراع بين أوتو وفيتيلليوس الذي وقعت أحداثه في بيدرياكوم Bedriacum شمال إيطاليا (بالقرب من كريمونا Cremona)، حيث اشتبكت قوات الطرفين في عدم وجودهما. وبالرغم من هزيمة قوات أوتو هناك، فإن نتيجة المعركة كان من الممكن ألا تكون حاسمة، إذ كان لديه قوات إضافية وقيالق كانت قد وصلت من الدانوب علاوة على القوات الإمبراطورية التي كانت تحته على مواصلة القتال.

ورغم أن نتيجة الصراع لم تكن واضحة (6, dubitaret Enyo)، فقد كان من الممكن أن يحقق أوتو النصر (et posset vincere mollis Otho, 2) عندما قرر الانتحار (4, Et fodit certa pectora tota manu) لتجنب إراقة مزيد من دماء الجنود وأعضاء مجلس السناتو (damnavit multo staturum sanguine) (Martem, 3).

يتفق السياق التاريخي المفهوم ضمنا مع الأدلة التاريخية التي أوردها كل من سويتونيوس وبلوتارخوس تماما. فالأول يشير بشكل محدد إلى الظروف التي اتخذ أوتو في إطارها قرار الانتحار:
ac statim moriendi impetum cepit, ut multi nec frustra opinantur, magis

¹Mart. VII.63.9.

فيما يتعلق بأحداث هذا العام انظر:

Kenneth Wellesley, *The Long Year A.D. 69* (London: Routledge, 1975).

^٢ ظل جالبا في السلطة سبعة أشهر فقط واغتيل في الخامس عشر من شهر يناير لعام ٦٩م.

^٣ سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والاجتماعي (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩١)، ١٨٤-١٨٥.

⁴ Suet. Otho. 11. 2: et circa lucem demum expergefactus uno se traiecit ictu infra laeuam papillam irrumpentibusque ad primum gemitum modo celans modo detegens plagam exanimatus est.

pudore, ne tanto rerum hominumque periculo dominationem sibi asserere perseueraret, quam desperatione ulla aut diffidentia copiarum; quippe residuis integrisque etiam nunc quas secum ad secundos casus detinuerat, et superuenientibus aliis e Dalmatia Pannoniaque et Moesia, ne uictis quidem adeo afflictis ut non in ultionem ignominiae quiduis discriminis ultro et uel solae subirent¹

لقد قرر بعد ذلك مباشرة أن يضع حدًا لحياته، ليس من دون سبب كما يزعم الكثيرون، فلقد كان من العار أن يصير على التشبث بالسلطة لنفسه، بينما يتعرض الشأن العام (الدولة) والجنود لمخاطر عظيمة، ولم يكن ذلك بسبب اليأس أو فقدان الثقة في جيشه، فقد كان يحتفظ ببعض الفرق الكاملة، التي كانت تحت تصرفه في وقت الحاجة، في حين كانت هناك قوات أخرى تصل من دالماتيا و Pannonia و Dalmatia وموسيا Moesia، ولم تكن القوات المهزومة مؤخرًا يائسة أو غير مستعدة، أو ليست لديهم الرغبة في مواجهة الخطر للانتقام من تلقاء أنفسهم لعارهم. ويتفق أيضًا وصف "الرقيق" (1, mollis) الذي يخلعه مارتياليس على أوتو مع الدلائل التاريخية:

fuisse enim et modicae staturae... munditiarum uero paene muliebrum, uulso corpore, galericulo capiti propter raritatem capillorum adaptato et adnexo, ut nemo dinosceret...per quae factum putem, ut mors eius minime congruens uitae maiore miraculo fuerit.²

كان متواضع المكانة... وكان في تألق مظهره مثل النساء، كان ينزع الشعر من على جسمه من جذوره، ويسبب ندرة الشعر في رأسه كان يرتدي نوعًا من الشعر المستعار يناسبها تماما لدرجة لا يستطيع معها أحد اكتشافه...ولهذه الأسباب، أعتقد أن وفاته، التي لا تتفق مع نمط حياته، كانت مفاجأة كبيرة.

إذا كانت الأبيات الأربعة الأولى من الإبيجراما تعرض للهدف الذي ترمي إليه، فإن البيت الخامس يمهّد لخاتمها الذكية acumen. إذ تظهر صورة ماركوس بوركيوس كاتو M. Porcius Cato الفيلسوف الرواقي وآخر المدافعين عن الجمهورية، من خلال مقارنته ببيوليوس قيصر، ولقد أشير إليهما باللقب cognomen فقط، وهذا أمر كاف لتحديد هويتهما من قبل القارئ.

كانت المنافسة بين قيصر وكاتو مألوفة في تاريخ الرجلين، فكل من سويتونيوس في سيرة قيصر³، وبلوتارخوس في سير قيصر وكاتو، يشيران إلى أحداث بارزة من هذا العداء، والذي أدى بالرجلين المتنافسين من خلال الحرب الأهلية بين قيصر ويومبي إلى ساحة القتال، وانتهى الصراع بانتحار كاتو في أوتিকা Utica في شمال أفريقيا عام ٤٦ ق.م، حيث تم تعيينه قائدًا لقوات يومبي، وعندما قام قيصر بذبح منافسيه في شريط ضيق من ثابوسوس

¹ Suet. Otho. 9. 3, cf. Plut. Otto.17.

² Suet. Otho. 12. 1, cf. Plut. Otto.18.

³ انظر: سويتونيوس (Suet. Caes. 14) حول قضية مؤامرة كاتيلينا، وكذلك: (Suet. Caes. 19) حيث دفاع كاتو عن استخدام الوسائل غير المشروعة لمنع قيصر من الترقية لوظيفة قنصل، وأيضًا: (Suet. Caes. 19) حيث ينسحب كاتو من مجلس السناتو ويودع في السجن بناء على أمر من قيصر.

Thapsus واقترب من أوتيكاً لمواجهة بقايا قوات بومبي في شمال أفريقيا، رأى كاتو، المؤمن بالمبادئ والمثل الرواقية، نهايته المحتومة، فأثر الانتحار على الإستسلام لمنافسه. ولقد تم تبجيل هذا العمل البطولي من قبل كل من شيشرون وبروتوس Brutus، ولما انزعج قيصر من ثناء شيشرون الزائد على كاتو اضطر للرد عليه بهجوم عنيف يحمل اسم Anticatones¹. وهكذا ظهرت صورة كاتو في التاريخ وكأنها تقريباً أسطورة²، فأسهمت بشكل كاف في تشويه صورة قيصر.

ولقد ظهرت صورة كاتو عند مارتياليس عدة مرات بقدر كبير من السخرية، حيث قدمه الشاعر الساخر في دور كاتو الصارم severus أو المتحهم rigidus Cato³، لخدمة احتياجاته النقدية من خلال استخدام أحد رموز الصرامة داخل إحدى الإبيجرامات الخليعة Carmen lasciva. ولكن هناك بعض المواقف التي يتجرد فيها الشاعر من عباءة النقد ويشير بكل جدية إلى الأيام والأعمال الأخيرة في حياة كاتو. وهذا ما يقوم به بالفعل عندما يناقش صديقه الرواقي ديكيانوس Decianus حول الموقف الرواقي من الانتحار، الذي يعلن بصراحة أنه لا يقبله⁴، ولم يؤيد انتحار كاتو الأخير، وإن كان يعتبره نموذجاً فريداً للفترة الجمهورية أو يشير إليه على أنه كاتو العظيم magnus Cato⁵. وبناء عليه فإنه من الغريب أنه يقدم كاتو في الإبيجرام (VI.32) على أنه أفضل في حياته من قيصر، علاوة على أن الثناء على آخر شخص من عصر الجمهورية في أيام دوميتيانوس لم يعد تصرفاً خاطئاً.

والتفسير المحتمل الذي يمكن تقديمه فيما يتعلق بهذه المشكلة يكمن في أمرين: الأول، لا بد أن نقبل أن الفارساليا Pharsalia التي كتبها لوكانوس (عصر نيرون) كان تأثيرها قائماً على نحو كبير ويتم تدارسها في الدوائر الأدبية في روما، خاصة وأنه في الكتاب التاسع يتم تقديم قيصر على أنه ممثل الشر، بينما كاتو يتم تبجيله

¹ انظر: عرض بلوتارخوس (Cato 64-70) المفصل للساعات الأخيرة من حياة الفيلسوف كاتو الذي كان يقرأ محاوره فيدون أو خلود النفس لأفلاطون قبل انتحاره.

² يبجل شيشرون كاتو مصنفًا إياه كواحد من فلاسفة الحوار (Academica, De finibus)، ويضع فرجيليوس صورته على درج آينياس (Aen.670)، ويضعه هوراتيوس في قصيدته الغنائية (1.12) بين أبطال روما أي بين رومولوس ونوما وتاركوينيوس، انظر: Κωνσταντίνος Γρόλλιος, *Οράτιος, Οι Ωδές, I* (Athina: Eστία, 1986), σελ. ad loc.

وقارن أيضاً: Sen. Ep. 14.13, 104. 29f.

ولمزيد من التفاصيل عن كاتو الرقيب انظر:

Piero Pecchiura, *La Figura di Catone Uticense nella letteratura Latina* (Torino: G. Giappichelli Editore, 1965).

³ قارن الرسالة التقديمية للكتاب الأول لمارتياليس:

Non intret Cato theatrum meum, aut si intraverit, spectet.

وقارن كذلك ما ورد في القصيدة التي ختم بها مارتياليس رسالته الاستهلاكية للكتاب الأول:

Cur in theatrum, Cato severe, venisti? / An ideo tantum veneras, ut exires?

وقارن أيضاً:

Mart. IX. 27. 14: (Catoniana lingua), 28.3: (Qui spectatorem potui fecisse Catonem), X. 20(19).21: (rigidi Catones), XI.2.1: Triste supercilium durique severa Catonis / frons, 39.15: (non possum libertum ferre Catonem), XII. 2(4).8: (hilaris Cato).

⁴ Mart. I.8.5-6: Nolo virum facili redimit qui sanguine famam./ Hunc volo, laudari qui sine morte potest. Cf. I.78.9.

⁵ Mart. I.8.1 (consummates Cato), 78.9-10: Hanc mortem fatis magni praeferre Catonis / Fama potest, 5.51.5: Similis Catoni Tullioque Brutoque, XI.5.14: Si Cato reddatur, Caesarianus erit (Cato Anticaesarianus, see Nigel Kay, *Martial, Book XI* (London : Duckworth, 1985), Commentary ad loc.

على أنه آخر المناضلين ضد الشر وكصورة مثالية وكنموذج للمواقف الأخلاقية والحرية. ويكسب هذا الاحتمال أرضاً، لو أخذنا في الإعتبار أن مارتياليس نفسه يتحدث بزهو عن مواطنه لوكانوس وعن عمله والذي كان يتم تداوله بأمان في المكتبات الموجودة في عصره، حتى أن مارتياليس في Apophoreta كان يوصي القراء بهذا العمل باعتباره هدية لهم¹.

ومما هو جدير بالذكر أيضًا وجود كاتنين آخرين من نفس العصر، هما بيترونيوس وسينيكيا، كانا أيضًا من ضحايا العنف النيروني، مثل لوكانوس، شاركا في موضوع الصراع الأهلي بين قيصر وبومبي (كاتو) وفي موضوع الحرية² libertas في العصر الجمهوري. ويبدو أن سينيكيا كان يحترم كاتو، بوجه خاص، لكن كـ "فيلسوف روماني رواقى، وليس كمدافع كبير عن الحريات"³، بينما يشير بيترونيوس في بيتين فقط إلى الثنائي كاتو - قيصر من خلال ايومولبوس Eumolpus في قصيدة طويلة عن الصراع الأهلي:

Pellitur a populo victus Cato; tristior ille est,
qui vicit, fascesque pudet rapuisse Catoni⁴.

طُرد كاتو المنهزم من قبل الجماهير، بينما من هزمه أكثر تعاسةً منه

ويشعر بالخجل لأنه انتزع الفئصلية من كاتو.

وربما كان بيترونيوس يهدف إلى الدفاع عن يوليوس قيصر أمام كاتو وبومبي، بطلي لوكانوس⁵.

أما التفسير الآخر الذي يمكن أن يثار إزاء هذه المشكلة، يتصل بدائرة الفلاسفة الرواقيين - من بينهم ديكيانوس صديق مارتياليس ومواطنه - الذين كانوا يمثلون مع جانب من أعضاء السناتو فصيلاً معارضاً للإمبراطور⁶.

وتعد الإبيجرامة (1.8) الأساس لأراء مارتياليس حول الانتحار:

Quod magni Thraseae consummatique Catonis
Dogmata sic sequeris, salvos ut esse velis,
Pectore nec nudo strictos incurris in ensis,
Quod fecisse velim te, Deciane, facis.
Nolo virum facili redimit qui sanguine famam,
Hunc volo, laudari qui sine morte potest.

أي ديكيانوس، يامن تتصاع لمبادئ ثراسيا Thraseae العظيمة وكاتو

المثالي، وفي نفس الوقت تريد البقاء حيًا وألا تتدفع بصدرك العاري على

¹ Cf. Mart. I.61.7, VII.21-23, X. 64.

عن صورة قيصر وكاتو في الفارساليا Pharsalia, انظر مقدمة:

Frederick Ahl, Lucan: *An Introduction* (London: Cornell University Press, 1976).

² عن libertas انظر:

Ch. Wirsubski, *Libertas as a Political Ideal at Rome during the Late Republic and Early Principate* (Cambridge: Cambridge University Press, 1950).

³ John Patrick Sullivan, *Literature and Politics* (London: Cornell University Press, 1985), 118ff.

⁴ Petr. Satyr. 119, 45-46.

⁵ Sullivan, *Literature and Politics*, 165.

⁶ علاوة على ذلك، كانت الرواقية تمثل النظام الفلسفي السائد في السنوات الأولى للإمبراطورية، منذ عصر نيرون حتى ماركوس أوريليوس، انظر:

Martin Lowther Clarke, *The Roman Mind, Studies in the History of Thought from Cicero to Marcus Aurelius* (New York: Norton, 1968), 103ff.; D. McAlindon, "Senatorial Opposition to Claudius and Nero," *American Journal of Philology* 77, no. 2 (1956): 113-132; Ursula Vogel-Weidemann, "The Opposition under the Early Caesars", *Acta Classica* .22 (1979): 91-107.

السيوف المجردة، أنت تفعل ما أريد فعله بالضبط. أنا لا أفضل الرجل الذي يشتري شهرته بدم رخيص (سهل)، بينما أحب من يوسعه الحصول على الثناء بغير الموت.

يبدو بوضوح أن رواقيين كثيرين من عصر مارتياليس كانوا يعتبرون كاتو Cato معبودهم، ويتوقون لشهرة ما بعد الموت ويتبنون أفكار كاتو وثراسيا بايتوس Thræsa Paetus¹ وكذلك يقدرون موتهما البطولي². بيد أن مارتياليس كما يتضح من هذه الإبيجراماة لا يتبنى مثل هذه الأفكار لأنه يعتبر الانتحار حلاً سهلاً (1.8. 5). ونعود إلى خاتمة الإبيجراماة (VI. 32):

Dum moritur, numquid maior Othone fuit?

لكن عندما لقي حتفه، هل كان أفضل من أوتو³؟

حيث يؤكد مارتياليس مرة أخرى على موقفه الراض للانتحار⁴ مستغلاً الفرصة لانتزاع الوهم عن كاتو، وهو ما نجح فيه من خلال مقارنة انتحاره بانتحار أوتو، ورغم أن أوتو لم يكن عضواً في السلالة الفلافية—ولذا من الممكن اعتبار الثناء عليه مقصوداً— أو يمثل شخصية تاريخية هامة، فإن تصرفه يعد أكثر شجاعة من تصرف كاتو، لأنه انتحر لمصلحة جنوده ووطنه بشكل عام تجنباً لاستمرار إراقة الدماء الأهلية. على الجانب الآخر قرر كاتو الانتحار بدافع الأنانية، لأنه ببساطة لم يكن يريد الوقوع في أيدي منافسه. والمقارنة من خلال هذا النموذج التاريخي مقنعة وتفيد في الإحتفاء بالإمبراطور الذي فضل التضحية بمصلحته الشخصية من أجل الصالح العام.

هذا ولقد نشر الكتاب السادس الذي تنتمي إليه الإبيجراماة الثانية والثلاثون ما بين عامي ٩٠ و ٩١ م. وكانت فترة عنف وإرهاب في روما إبان عصر دوميتيانوس، الذي، نظرًا لأنه واجه مؤامرة أنطونيوس ساتورنيوس Antonius Saturninus الكبيرة عام ٨٧/٨٨ م، بدأ في اتخاذ سلسلة من إجراءات التصفية لأعضاء مجلس السناتو ومعارضيه عمومًا، والتي بلغت مداها وفقا لتاكيوتوس في السنوات التالية لوفاة أجريكولا Agricola (٩٣م)⁵. ولدينا في هذه الأعوام واحدة أو اثنتان من عمليات الطرد للفلاسفة الرواقيين من روما⁶، الذين تم اعتبارهم

¹ لقد أجبر ثراسيا بايتوس على الانتحار على يد نيرون عام ٦٦ ميلادية، انظر:

Suet. Nero 37, Dom. 10.

انتحار بايتوس قدم شهيداً آخر للرواقيين، وكذلك استدعى موته ذكرى موت كاتو وفقاً لما ورد في تعليق:

Clarke, *The Roman Mind*, 108.

² لا يعد الموت أو الانتحار شيئاً مخيفاً عند الرواقيين. على النقيض، كان يمثل هبة من الآلهة لم تكن هي نفسها تمتلكها، كلما كان في مقدور المرء خيار الخروج وحيداً من الحياة ومن شقائها، انظر:

Clarke, *The Roman Mind*, 130, Francis Henry Sandbach, *The Stoics* (London: Chatto & Windus, 1975), 48ff.

³ انتحر كاتو عندما خسر قضيته، بينما أنهى أوتو حياته عقب هزيمته في بيدرياكوم Bedriacum عام ٦٩ م.

⁴ يحتفظ مارتياليس بنفس الموقف في الإبيجراماة (IX.65) عندما يهاجم الفيلسوف الرواقي خايريمون Chaeremon :

Quod nimium mortem, Chaeremon Stoice, laudas, /Vis animum mirer suspiciamque tuum? /.../ Rebus in angustis facile est contemnere vitam: / Fortiter ille facit, qui miser esse potest.

⁵ Catharine Edwards, *Death in Ancient Rome* (New Haven: Yale University Press, 2007), 38-39.

⁶ Tac. Agric. 44, cf. Suet. Dom. 10. 2: Complures senatores, in iis aliquot consulares, interemit, Iuv. 4. 151: tempora saevitate.

^٧ وقعت الأولى عام ٨٨-٨٩م، بينما الثانية عام ٩٣م، انظر:

Suet. Dom. 10. 3: cuius criminis occasione philosophos omnis urbe.

اعتبارهم أعداء لنظام الحكم، وكذلك حكم الإعدام الصادر على الرواقي يוניوس روستيكوس Iunius Rusticus قنصل عام ٩٢م، بدعوى أنه أثنى كتابة على ثراسيا بايتوس^١.

يفتح مارتياليس، وسط هذا المناخ السياسي السلبي والبعيظ وربما الخطير، حوارًا جادًا ومسؤولًا مع المعارضة الرواقية ومبادئها^٢. ومن الواضح أن مثل هذا الحوار لم تقل حدته منذ عصر نيرون واستمر حتى عهد دوميتيانوس. ولكنه انحسر في المعارضة التي ضحت بيوليوس قيصر مقابل اعجابها الأكيد بشخصية واستقامة حياة integritas vitae كاتو^٣. ولكن مارتياليس يعلن في نهاية الإبيجراما اختلافه مع الرواقيين، مبيّنًا نقطة الضعف في أفعال كاتو، وهي الانتحار، فلا يزال كاتو بعد كل هذه السنين يمثل منارةً مضيئةً وقُدوةً exemplum تاريخية لهم ولثراسيا بايتوس^٤. وبالرغم من أن المقارنة مع أوتو ليست هي الأنسب، خاصةً أن النموذج (القُدوة) يجيء من التاريخ المعاصر للأباطرة الرومان وموته يستحضر أحاسيس ضخمة لدى الرأي العام^٥. ومن ثم فإن مقارنة كاتو بأوتو لم تتم وفق شروط متكافئة، نظرًا لأن كاتو يعد من الشخصيات العظيمة، حتى وإن اختلف حوله الكثيرون. ولهذا السبب أعتقد أن القصد النهائي من وراء الإبيجراما كرد على الرواقيين هو: "أن قدوتكم كاتو العظيم بانتحاره لم يكن بوسعه أن يضارع في النهاية حتى لأوتو الضعيف".

أما الإشارة الثانية والطويلة ليوليوس قيصر نقابلها في الكتاب التاسع في الإبيجراما (٦١):

In Tartesiadis domus est notissima terris,
Qua dives placidum Corduba Baetin amat,
Vellera nativo pallent ubi flava metallo
Et linit Hesperium brattea viva pecus.
Aedibus in mediis totos amplexa penates 5
Stat platanus densis Caesariana comis,
Hospitis invicti posuit quam dextera felix,
Coepit et ex illa crescere virga manu.
Auctorem dominumque nemus sentire videtur:
Sic viret et ramis sidera celsa petit. 10
Saepe sub hac madidi luserunt arbore Fauni,
Terruit et tacitam fistula sera domum;
Dumque fugit solos nocturnum Pana per agros,
Saepe sub hac latuit rustica fronde Dryas.

والتعليق عليه من قبل:

George W. Mooney. C. Suetonii Tarnquilli, *De vita Caesarum libri VII-VIII* (London: Longmans, 1930).

¹ Suet. Dom. 10. 3.

^٢ فيما يتعلق بمبادئ الرواقيين حول الحرية libertas انظر:

Clarke, *The Roman Mind*, 104ff.

^٣ كان سينيكا الرواقي ومعلم أحد الحكام معجبًا بكاتو كنموذج قدوة للفيلسوف وهبته الآلهة كنموذج للحكمة:

Sen. De Const. Sap. 2.1: Catonem autem certius exemplar sapientis uiri nobis deos immortalis dedisse

بيد أن سينيكا يستتكر تورط كاتو في السياسة عندما يقول:

Sen. De Const. Sap. 2.2: neque enim Cato post libertatem uixit nec libertas post Catonem.

⁴ Mart. 1.8.

من الجدير بالإشارة أن بايتوس قام بكتابة سيرة ذاتية لكاتو، التي أفاد منها بلوتارخوس.

⁵ Suet. Otho 12.2: per quae factum putem, ut mors eius minime congruens uitae maiore miraculo fuerit...denique magna pars hominum incolumem grauissime detestata mortuum laudibus tulit, ut uulgo iactatum sit etiam, Galbam ab eo non tam dominandi quam rei p. ac libertatis restituendae causa interemptum.

Atque oluere lares comissatore Lyaeo, 15
 Crevit et effuso laetior umbra mero;
 Hesternisque rubens deiecta est herba coronis,
 Atque suas potuit dicere nemo rosas.
 O dilecta deis, o magni Caesaris arbor,
 Ne metuas ferrum sacrilegosque focos. 20
 Perpetuos sperare licet tibi frondis honores:
 Non Pompeianae te posuere manus.

إنه لمنزل شهير في أرض تارتيسوس Tartessus،
 حيث قرطبة الغنية التي تقع على بايتس Baetis الهادئة،
 وحيث تصير الأصواف الصفراء باهتة بفعل (رواسب) معدن (الذهب) المحلية
 وحيث تغطي رقائق الذهب قطيع هيسبيريا.
 وفي وسط المنزل تقف شجرة الدُّلب/الصَّنار القيصرية،
 معانقة كافة أرجاء المقر بأوراقها الكثيفة،
 التي غرسها بيده الميمونة الزائر الذي لا يقهر،
 ومن تلك اليد بدأ البرعم في النمو:
 ويبدو أن الشجرة تدرك خالقها ومولاها،
 وتورف أوراقها وتبحث عن النجوم العالية بأغصانها،
 وتحت تلك الشجرة كثيرًا ما كان يلهو الفاوني الثمالي (آلهة الريف)،
 ولقد أزعج مزمارهم المتأخر المنازل الهادئة،
 وبينما هي تهرب ليلًا من بان Pan عبر الأراضي المهجورة،
 كثيرًا ما كانت درياس (أحدى حوريات الغابة) تختبئ تحت أوراق هذه الشجرة.
 ويفوح المنزل بعبق (خمر) ليايوس (ديونيوسوس) العرييد،
 ويبدو ظل الشجرة أكثر امتدادًا بسبب الخمر المتدفق،
 واكتسب العشب اللون الأحمر من تيجانهم بالأمس،
 حتى أنهم (من شدة ثمالتهم) لم يستطع أي منهم التعرف على زهور تاجه.
 أيا محبوبة الآلهة، شجرة قيصر العظيم،
 لا تخافين الحديد ولا النيران غير المقدسة.
 ولنترقبين مجددًا أبدًا لأوراقك،
 فالأيدي التي غرستك ليست أيدي بومبي.

تكمّن المشكلة الأولى التي يواجهها الدارس هنا في التأكد من كون هذه الإبيجرامّة تشير بالفعل إلى يوليوس قيصر أم إلى دوميتيانوس. وبرغم الآراء المختلفة لبعض الكتاب^١، نرى أن الإشارة تخص يوليوس قيصر لسببين

^١ يوليوس قيصر هو الذي غرس هذه الشجرة عندما زار قادش أثناء حملته الإسبانية عام ٤٤ ق.م. (Bell. Hisp. 39.3). بيد أن Paley and Stone يعلق على البيت السابع من هذه الإبيجرامّة قائلاً: بأن دوميتيانوس هو الذي حلّ ضيفاً في هذا القصر (ربما قبل أن يصير إمبراطوراً بوقت طويل)، انظر:

Frederick Apthorp Paley and William Henry Stone, *Martialis: Epigrammata Selecta* (London : George

رئيسيين: أولهما إننا لم نقابل أي دليل تاريخي على أن دوميتيانوس سواء أكان إمبراطورًا أو أميرًا شابًا قد زار مطلقًا إسبانيا، حتى ينطبق عليه ما جاء في البيت السابع من الإبيجراما، ثانيهما، أن البيت الأخير الثاني والعشرين من الإبيجراما من خلال الإشارة إلى بومبي يلمح مباشرة إلى منافسه، يوليوس قيصر في الحرب الأهلية وإلى علاقة الرجلين في إسبانيا.

هنا ينقلنا مارتيا ليس مباشرة إلى منزل/قصر شهير (1, domus notissima) موجود في قرطبة الغنية (dives Corduba)، التي يروج لمعالمها الجغرافية والوطنية بصور شعرية واضحة (نهر بايتيس Baetis، نهر Guadalquivir، وقطعان الهيسبريديات ذات الاصواف الذهبية، الأبيات ٢-٤)، ثم يشير مارتيا ليس في قلب الإبيجراما (الأبيات ٥-١٠) إلى شجرة الدُّلب/الصَّنار المورقة التي غرسها بيده اليمنى، ربما في رواق المنزل الزائر الذي لا يقهر، يوليوس قيصر. لقد كانت الشجرة غصنًا صغيرًا في ذلك الوقت التي بدأت تنمو بسرعة بلمسة من اليد المباركة (البيت ٨)، ومن الواضح أن الشجرة تترك الطابع الإلهي لخالقها وسيدها، وهكذا تنتفح وتكبر وتبحث عن نجوم السماء (الأبيات ٨-٩). كما أن هذه الشجرة مقدسة، وكبرهان على قداستها كان الفاوني Fauni ودرياس Dryas وبان Pan يقومون بزيارتها (الأبيات ١٣-١٤). ووقف ليايوس Lyaeus (ديونيوسوس) العريد هنا مع رفاقه، ويفوح المنزل (اللاريس Lares) عطرًا نكيًا، كما يبدو ظل الشجرة أكثر امتدادًا بسبب خمورهم المتدفقة (الأبيات ١٥-١٦). وكذا يكتسب العشب اللون الأحمر من تيجان الزهور الخاصة بهم، لدرجة أنهم من شدة ثمالتهم لم يستطع أي منهم التعرف على التاج الخاص به (الأبيات ١٥-١٨).^١

ويختتم مارتيا ليس الإبيجراما بمناجاة مثيرة للعاطفة لشجرة الدُّلب (الأبيات ١٩-٢٢). ويستخدم حالة المنادى مرتين في البيت (١٩)، مع تقسيم البيت إلى شطرين متساويين عن عمد ليظهر قيصر على قدم المساواة مع الإله، كما يواصل تشجيعه في البيت (٢٠) لشجرة الدُّلب بألا تخشى الفأس ولا النيران غير المقدسة. علاوة على أنها يمكن أن تتشد جدًا أبدئيًا طالما أنها من خلق (صنيعة) رجل مقدس لا يقهر، وليست من صنيعه واحد من أتباع بومبي المقهورين والمذمومين، وكما هو معلوم، فقد تواجد قيصر في إسبانيا عدة مرات، وتشير كتب السير لبلوتارخوس وسويتونيوس إلى أن قرطبة من بين المدن التي زارها^٢، وكانت المرة الأولى التي سافر فيها إلى إسبانيا عام ٦٨ ق.م كمشرف مالي quaestor. ومر في ذلك الوقت على جاديس Gades بالقرب من قرطبة، حيث زار معبد هيراكليس لرؤية تمثال الاسكندر الأكبر عندما قرر أن يكون مناظرًا له في إنجازاته^٣. والمرة الثانية كانت في صيف ٦١ ق.م عندما تولى إدارة إسبانيا كبرايتور praetor^٤. والمرة الثالثة كانت عام ٤٩ ق.م عقب هروب بومبي إلى اليونان، عاد إلى إسبانيا، لتوجيه ضربة لقواده، لوكيوس أفرانوس Lucius Afranius وماركوس بيتريوس Marcus Petreius والكاتب الشهير ترنتيوس فارو Varro. أما ظهوره الرابع والأخير في إسبانيا كان في عام

Bell & Sons, 1892), 302.

^١ للتعليق الكامل على هذه الإبيجراما، انظر:

Christer Henriksen, Martial, "Book IX: A Commentary". (PhD Diss., Uppsala University, 1999.), 54.

^٢ على سبيل المثال عانى قيصر للمرة الأولى من مرض الصرع في قرطبة (Plut. Caes. 17)، وفيها أيضًا قام بجمع ممثليه في المدن المحيطة لإقناعهم بالوقوف ضد أتباع بومبي، (Caes. Bell. Civ. 2.19ff). وكانت قرطبة مركزًا لعملياته ضد أبناء بومبي عام ٤٥ ق.م، انظر: Huebner, Corduba, RE IV.1, 1900, 1221 ff.

^٣ Suet. Caes. 7.

^٤ Suet. Caes. 18.

٤٥ ق.م بعد موقعة فارساليا عندما قرر التخلص من آخر أثر لأبناء بومبي (سكستوس Sextus وجنايوس Gnaeus) وكذلك لافينوس Lavienus¹.

ولدينا كذلك شهادة سويتونيوس على أن قيصر كان سخيًا مع مدن كثيرة من بينها إيطاليا وجالاطيا وإسبانيا وآسيا واليونان، لدرجة أنه كان ينفق أموالاً ضخمة لبناء مشروعات عامة وإقامة بعض الآثار لتزيين تلك المدن². وفي أحد التواريخ المشار إليها أعلاه - التاريخ الثاني الأكثر احتمالاً (٦١ ق.م)، حيث كان قيصر حاكمًا لإسبانيا وأقام هناك فترة كافية - افتتح، ربما أحد المقرات الحكومية، في قرطبة (domus notissima) وقام في نفس الوقت بغرس شجرة الدلب في فناء المقر الداخلي. واعتبارًا من عام ٦١ ق.م حتى ٩٥/٩٤ ميلادية الذي نشر فيه الكتاب التاسع لمارتياليس مرت على الأقل مئة وخمسون سنة، ومن ثم يبدو أن هذه الشجرة من الأشجار المعمرة بالفعل.

من الممكن أن يدرك القارئ ما ترمز إليه هذه الإيجرامنة. فهذه الشجرة لم يكن اختيارها بطريق الصدفة، فهي تنتمي إلى فصيلة الأشجار التي يغرسها الرجال العظام والمجلون لتظل كرموز أبدية للتاريخ. ففي دلفي شجرة الدلب المقدسة الموجودة هناك غرسها أجامنون بنفسه، وفي جبل كناكالوس Cnacalus في أركاديا غرسها مينيلوس، وفي أثينا توجد الشجرة نفسها في أكاديمية أفلاطون، بينما شجرة الدلب دائمة الخضرة الخاصة بزيوس موجودة في كريت، والتي تحت ظلها تزوج الإله يوروبا Europa³.

وبالمثل فإن شجرة الدلب المعمرة في قرطبة تم غرسها باليد المقدسة والأمنية⁴ ليوليوس قيصر المبجل، إنها شجرة قيصر المقدسة الرمز الدائم لعظمته. انها الشجرة المقدسة للقيصرة الرومان ورمز سلطتهم الخالدة، إذ أن يوليوس قيصر هو زعيمهم الأكبر وهو الحاكم المطلق والاله. وكون هذه الشجرة غير موجودة في ذلك الوقت في روما وانما في إسبانيا البعيدة، ليس له أي دلالة خاصة. فلقد كانت فرصة ذهبية لمارتياليس ليتغنى بوطنه ويعرضه ككيان روماني أصيل، تحدث داخله مثل تلك المعجزات التي تتصل بمستقبل القياصرة.

ومن الواضح أن هذه الإيجرامنة تعد ثناءً شعريًا على يوليوس قيصر، وتغن بذكراه وتمثليًا بالتفاصيل الأسطورية وكذلك بتفاصيل ترتبط ببلد المعجزة والأعجوبة⁵، والتي تبنها الشاعر ليوحى للقارئ بمناخ الألوهية والحماية المقدسة

¹ Suet. Caes.34 and 35.

² Suet. Caes.28.

³ انظر H. Gossen, Platanos, REXX.2 (1950), 2337f. ويطلق أوفيديوس وصف البهجة genialis على شجرة الدلب في قائمة كبيرة عن الأشجار، وهو وصف يتناسب مع ما ورد في قصيدة مارتياليس هنا، إذ تحتضن شجرة الدلب البيئاتيس / المنزل.

⁴ اليد اليمنى مقدسة ومباركة لأنها يد الربة فيديس Fides، انظر:

Liv.1.21.4: sedemque eius (sc. fidei) etiam in dexteris sacratam esse.

وانظر كذلك:

Serv. Aen.3.607: physici dicunt esse consecratas numinibus singulas corporis partes, ut ... dexteram fidei. وعند إبرام عقد الزواج تقوم المشرفة على شئون الزواج بمتابعة مصافحة العروسين باليد اليمنى dextrarum iunctio ويسلم والد العروس ابنته للعريس بيده اليمنى، انظر:

Catul. 68. 143f: nec tamen illa mihi dextra deducta paterna / fragrantem Assyrio venit odore domum, Otto, Fidesm RE VI.2, 1909, 2281ff., Ricks Stephen, "Dexiosis and Dextrarum Iunctio: The Sacred Handclasp in the Classical and Early Christian World", FARMS Review 18 no.1 (2006): 432-33.

⁵ وهناك حالة مشابهة لشجرة الدلب يشير إليها كوينتيليانوس (Inst. Orat. 6.3.77)، والي نبتت فجأة في أحد مذابح أوغسطس في تاراكونا Tarracona، وهرع السكان إلى رومان لإخبارهم بالمعجزة، ونفس فئة هذه القصائد تنضم تلك التي تشير إلى pius elephas أي إلى الفيل الورع الذي ينحني أمام الإمبراطور معترفًا به كمولى ورب (Spec.20) وإلى الطيبي والكلب damma et canes (Spec.33)، أو القصائد التي تشير إلى الحصان والأرنب البري (I.6,14,22,44,48, 61,60,104).

للمقر الإمبراطوري. ومثل تلك الإبيجرامات تعكس بالفعل الدعاية الإمبراطورية حول لقب دوميتيانوس غير الرسمي "المولى والرب" dominus et deus الذي طلبه لنفسه بالرغم من عدم استخدامه في المكاتبات الرسمية أو في النصوص الإمبراطورية^١.

وقد يتبادر إلى الذهن تساؤل يتعلق بالأسباب التي دفعت مارتياليس لكتابة هذه الإبيجرامات. لأنه لو كانت تشير إلى دوميتيانوس وليس إلى يوليوس قيصر، لصنفت ضمن "إبيجرامات قيصر" في الكتاب التاسع^٢، والتي تدور موضوعاتها حول إما "البرنامج العمراني" أو برنامج الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي" لدوميتيانوس. ومن الممكن فهم دوافع الشاعر بسهولة لو صنفنا الإبيجرامات ضمن تلك التي تتناول موضوع الجدل السياسي بين البلاط وبين المعارضة الرواقية في مجلس السناتو حول شخصيات كل من قيصر وكاتو ويومي وصور أخرى من سنوات عصر الجمهورية، وهو موضوع يمثل كذلك فكرة الإبيجرامات (VI.32) المشار إليها أعلاه^٣. إذا كان مارتياليس قد أُجبر في تلك الإبيجرامات (VI.32) على التراجع، مقراً بأفضلية كاتو على يوليوس قيصر، يتحول هنا إلى مستوى آخر من المقارنة. ليست صورة كاتو التي يرغب في مقارنتها بقيصر، لكنها صورة يومي قائد الجيش المنتصر وخصمه في الحرب، الذي اكتسب في فترة مبكرة صفة "العظيم" magnus، والذي يظهر في البيتين الأخيرين للقصيد، لكن من المعلوم أن إسبانيا كانت أيضاً مرتبطة بيومي وأبناءه وأتباعه ربما أكثر من ارتباطها بقيصر. ولكن لا يمكن استبعاد أن قرطبة أسست كمستعمرة استقرافية للمواطنين اللاتين والمحررين Patricia colonia civium Latinorum et libertinorum على يد يومي نفسه^٤. ومن ثم عندما نصل إلى نهاية الإبيجرامات ندرك لماذا اختار مارتياليس إسبانيا كمقر لشجرة الدلب المقدسة، لأن قيصر ذلك الضيف الذي لا يقهر invictus hospes (البيت ٧) تغلب هناك على أنصار يومي مرتين، محولاً إسبانيا من مكان للاضطرابات والقلق إلى ساحة سلام ورخاء، الأمر الذي تعكسه عبارة felix dextera (البيت ٧). ومن ثم فإن الصفة magnus تنتقل من يومي إلى قيصر (o magni Caesaris arbor, 19)، بينما يظهر يومي على نحو أقل أهمية من خلال الإشارة Pompeianae manus (البيت ٢٢).

وثمة تفسير آخر للقصيد، فمن المعلوم أنه بعد مقتل قيصر، وعندما كان أوغسطس يقوم بالمحاولات الأولى لتأليه، ظهر نجم في السماء لمدة سبعة أيام كاملة، كان يظهر قبل غروب الشمس بساعة واحدة، ولقد اعتقد الكل في ذلك الوقت أنه ربما يكون روح قيصر التي حلت في السماء^٥. وتلك المعجزات لم تحدث لأحد من الأباطرة الرومان، ولذا من الطبيعي أن مارتياليس يعود إلى قيصر وليس إلى أوغسطس ليجد ميررات لدعم وتأكيده طلب دوميتيانوس بإسباغ لقب المولى والرب dominus et deus عليه. فضلاً عن ذلك كان قيصر الأول والوحيد قبل دوميتيانوس - يستثنى من ذلك نيرون الذي تسري عليه لعنة الذكرى damnatio memoriae - الذي يريد منح

^١ سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢١٥.

^٢ والقائد هذه عددها ستة عشر في الكتاب التاسع هي: ١، ٣، ٥، ٧، ١٨، ٢٠، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٦٤، ٦٥، ٧٩، ٨٣، ٩١، ٩٣،

١٠١، انظر: Garthwaite, Domitian and the Court Poets, 43ff.

^٣ كون موضوع الحرية libertas يعد واحداً من الموضوعات محل النقاش في عهد دوميتيانوس وكونه لا يزال قائماً بعد مقتل دوميتيانوس وعند إرتقاء نيرفا العرش، يبدو امراً واضحاً من الإبيجرامات (XI.5)، حيث يحاول استرضاء الإمبراطور تجاه كل القوى المعارضة لعصر الحروب الأهلية.

^٤ Huebner, Corduba, RE IV.1 (1900), 1222.

^٥ Suet. Caes. 88.

الحاكم المطلق أصلًا مقدسًا وأن يحظى بالعبادة التي كان يتمتع بها الحاكم الهلينيستي في الشرق^١. وهكذا يمكن أن تفسر الآن العبارة التي استخدمها الشاعر في البيت السابع (*invictus hospes*) التي تتشابه مع تلك التي استخدمها لدوميتيانوس في نفس الكتاب، على سبيل المثال:

Invicta quidquid condidit manus, Caeli est, IX.1.10

أيا كان ما شيدته اليد التي لا تقهر فإنه من السماء.

Cinxerit invictum quod prior illa caput, IX.23.6²

(أغصان الزيتون) التي كانت تطوق أولًا تلك الرأس التي لا تقهر.

وهكذا لو ربطنا بين التفسيرين المشار إليهما أعلاه، لرأينا بوضوح أن مارتياليس نجح في تحقيق أمرين داخل نفس الإبيجراما: أولهما، نجاحه، من ناحية، في إبراز صورة يوليوس قيصر كواحد من السلف لا يقهر وكذلك كصانع سلام، وبذلك يرد على المعارضة في مجلس السناتو التي كانت تعتبره مدمرًا للحرية *libertas*، ومن ناحية أخرى لترسيخ صورة دوميتيانوس المولى والرب *dominus et deus* أمام الرأي العام، مبيّنًا أن الحاكم الحالي ينحدر من أصول مقدسة.

وكون دوميتيانوس يظهر في الإبيجراما بشكل غير مباشر يتضح من المعطيات التالية: أولًا، من استخدام كلمة *Caesarianus* في البيت السادس ومعناها يتعلق بيوليوس قيصر وكل القياصرة، ومن كلمة *Caesar* في البيت التاسع عشر، وهو لقب عام لكل القياصرة موروث عن يوليوس قيصر. ثانيًا، من البيت الثامن وصورة البرعم *virga* البكر^٣، الذي كبر كشجرة عائلية لكل القياصرة الرومان.

والآيات ٢٠-٢٢ هي آخر هذه المعطيات التي تستحق التعليق في هذه الإبيجراما، لو كان الحظ في هذه الآيات يشير إلى ما هو أبعد أو أعمق من مجرد توجيه خطاب تقليدي نمطي للأشجار المقدسة والبيوت وغيرها، فمن الممكن ان يعطي بسهولة دلالة مجازية وأهمية جوهريّة، وهو الأمر الذي تتيحه لنا صياغة البيت ٢٠، حيث العبارة *ferrum et focus* التي تعني الفأس والموقد، ربما تكون بديلًا ذكيًا للعبارة *ferrum et ignis* التي تعني السيف والنار^٤، والتي ربما تشير إلى الأوضاع القائمة التي كانت تتسم بالاضطرابات والتحديات.

وكما هو معلوم فإن الكتاب التاسع نشر في ٩٤/٩٥ م، حيث بلغت إعدامات ونفي أعضاء السناتو والمخالفين في الرأي والفلاسفة مداها، ولقد بدأ العد التنازلي بالفعل لنهاية دوميتيانوس التي ستكتمل بمقتله في سبتمبر عام ٩٦ م. لقد كان عصر ساد فيه عدم الأمان والخوف على حياته هو شخصيًا، وكان يشك في الجميع وفي كل شيء^٥.

وفي حال سريان الصورة البلاغية المشار إليها أعلاه فإن اتجاه الإبيجراما سيتحول إلى دوميتيانوس: فربما ترمز شجرة الدلب التي في نهاية الإبيجراما إلى القيصر الحالي (دوميتيانوس)، ومن الممكن أن مارتياليس يشارك

^١ إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ١٣٣-٤٤ ق.م. الجزء الثاني (منشورات الجامعة الليبية ١٩٧٣)، ٦٩١-٩٥.

^٢ العبارة *auctorem et dominum* في البيت السابع من هذه القصيدة IX.23 إن لم يكن لكلمتها استخدام على الإطلاق في مكان آخر، إلا أنهما استخدمتا منفردتين مرات عديدة، على سبيل المثال: كلمة *auctor* في الإبيجراما I. 6. 5ff. وكلمة *dominus* في II.92.4, V.2.6, VII.12.1, VIII.36.12.

^٣ عن هذا المعنى، انظر:

Iuv. VIII.7-8: *posthac multa contingere uirga / fumosos equitum cum dictatore magistris.*

^٤ OLD, s.v. *ferrum* (5c).

^٥ عن موقف دوميتيانوس من المعارضة، انظر: سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٢١-٢٢٣.

دوميتيانوس في همومه- من خلال مناجاة شجرة الدلب- إذ يحاول مؤازرته بلطف معلنا بأن أتباع بومبي، أي دوائر أعضاء مجلس السناتو المعارضة الحالية، لن يتمكنوا من التغلب عليه وسوف يُقهرن كما قُهرُوا على يد قيصر. ومما هو جدير بالملاحظة أنه تمت صياغة هذا الإعلان بلغة احتمالية (21 licet sperare)، الأمر الذي قد يعني أن مارتياليس غير راضٍ عن أفعال دوميتيانوس ويمارس نقدًا غير مباشر بتلميحه بأن مستقبل الإمبراطور متوقف على أفعاله شخصيًا.

ومن بين الإشارات الأخرى ذات الأهمية الثانوية إلى اسم قيصر، تستحق الإيجراماة (IX.70) التنويه:

Dixerat 'o mores! o tempora!' Tullius olim,
 Sacrilegum strueret cum Catilina nefas,
 Cum gener atque socer diris concurreret armis
 Maestaque civili caede maderet humus.
 Cur nunc 'o mores!', cur nunc 'o tempora!' dicis? 5
 Quod tibi non placeat, Maeciliane, quid est?
 Nulla ducum feritas, nulla est insania ferri;
 Pace frui certa laetitiaque licet.
 Non nostri faciunt, tibi quod tua tempora sordent,
 Sed faciunt mores, Caeciliane, tui. 10

صرخ توليوس شيشرون ذات مرة: "يالها من تصرفات، يالها من أوقات!"،

عندما كان كاتيلينا يعد لجريمته الآثمة،

وعندما اصطدم الزوج وحموه بالأسلحة المروعة (في حرب)،

وارتوت الأرض الحزينة (بدماء) المجزرة الأهلية.

لماذا تصرخ انت الآن قائلاً: "يالها من تصرفات، يالها من أوقات!"

أي كايكيليانوس، ما هو ذلك الشيء الذي لا يروقك؟

ليس لدينا وحشية القادة ولا جنون الحرب (الأهلية)،

ويمكننا أن ننعم بالسعادة والسلام المضمون،

ليست تصرفاتنا التي تجعلك تستهين بأوقاتك، كايكيليانوس،

إنها تصرفاتك التي أدت إلى ذلك.

في هذه الإيجراماة التي تتناول الأخلاق المعيبة mores sordidi لكايكيليانوس Caecilianus، وهي شخصية معروفة تكرر ظهورها عند مارتياليس¹، ينقل الشاعر عبارة التعجب o mores! o tempora (البيت ١)^٢ التي استخدمها شيشرون، ليوظفها ضد معاصره كايكيليانوس، الذي طالما استخدمها دون وجود ظروف وأسباب ملائمة مثل تلك التي سادت في عصر شيشرون، عصر مؤامرة كاتيلينا.

تشير التورية/الكناية gener atque socer المأخوذة عن كاتولوس³، بوضوح إلى قيصر وبومبي، نظرًا لأن قرابتهما المعروفة^٤، كانت محل سخرية من المعارضة في ذلك الوقت وانتقلت إلى الكتاب اللاحقين كعبارة نمطية.^٥

¹ See Mart. I.20, II. 37, 71, 78, IV. 51, VI. 5, 35, 88, VII. 59, VIII. 67, XI.42.

² Cic. Catil. 1.1.

³ Catull. 29. 23-24: eone nomine, urbis o piissimi, / socer generque, perdidistis omnia?

^٤ قام قيصر بتزويج ابنته يوليا Julia لبومبي عام ٥٩ ق.م. لتوطيد دعائم الحكومة الثلاثية.

^٥ فيما يتعلق بالإشارات المتعلقة بهذه العبارة التي وردت عند شيشرون وفرجيليوس ولوكانوس انظر:

James Fordyce, Catullus: A Commentary (Oxford: Oxford Clarendon Press, 1961), comm. ad. 29.24.

ومن الممكن أن نكتشف من خلال وصف وصياغة البيتين ٢-٤ من الإبيجراما، أن انطباع مارتياليس هو أن تلك المذبحة الأهلية (4, civili caede) كانت تمثل معركة بين رجلين، تربطهما علاقة نسب، على السلطة وبالتالي لم تكن حرباً ضد عدو خارجي أو من أجل الديمقراطية. ولو وضعنا أيضاً في الاعتبار أن نفس الفكرة تم التعبير عنها قبل بضعة سنوات عند فيلسوف ورجل سلطة هو سينيكا الأصغر^١، لأدركنا أن مارتياليس لا يساند الوهم الجمهوري، إنما يكفيه الاستمتاع بالسلام الذي يكفله قائد dux مثل دوميتيانوس وأن يستمتع بأطيب الحياة التي يوفرها هذا السلام (أبيات ٧-٨).

ونحن نأخذ بعين الاعتبار في الوقت ذاته بأن مثل ذلك الاتجاه الذي ينتقد الفوضى مضحياً بالحرية libertas باسم السلام وأمن المواطن (pax et securitas)، ليس له مصدر آخر سوى البلاط الإمبراطوري. وهذا يعني بالفعل أن مارتياليس يتحرك في تلك الدوائر التي تمثلها السياسة القيصرية السائدة. ومحاولة مارتياليس عرض أحد المواقف التي تعكس الدعاية الرسمية تتضح من إسهابه في عرض كلام شيشرون، ومن مؤامرة كاتيلينا التي لأجلها كانت كلمات شيشرون (البيتان ١-٢)، ومن الصراع الأهلي اللاحق (الأبيات ٢-٤)، لأنه لو لم يفعل ذلك كنا سنظن أن مارتياليس لا يعرف التاريخ. وفيما يبدو أن هذه القصيدة IX.70 تصور دوميتيانوس كأمر للسلام وإن كان ذلك بطريقة مستترة وغامضة^٢.

ونجمل الآن النتائج التي نجمت عن تحليل إشارات مارتياليس إلى يوليوس قيصر فيما يلي: هناك عنصر مشترك في الإبيجرامات الثلاثة (VI. 32, IX. 61, IX. 70) يكمن في أبطال الحرب الأهلية أعوام ٤٩-٤٤ ق.م، قيصر وبومبي وكاتو، حيث يتم عرضهم من خلال المقارنة الثنائية بينهم. تحتل المقارنة في الإبيجراما الأولى (VI. 32) بين كاتو وقيصر مكانة ثانوية وتخدم في إبراز المقارنة الرئيسية بين كاتو وأوتو، لصالح أوتو بالطبع وضد كاتو. ومن الواضح هنا أن ثمة قبول إجباري من قبل مارتياليس لرأي المعارضة بأن كاتو كإنسان وفيلسوف أفضل من يوليوس قيصر، بيد أن هذه المهادنة وربطها بالتقييم النهائي الرفض لانتحار كاتو تكشف عن موقف إيجابي رقيق لمارتياليس تجاه يوليوس قيصر.

تطور هذا الموقف الرقيق المشار إليه أعلاه وتؤكد وصار أكثر وضوحاً في الإبيجراما IX.61 جنباً إلى جنب مع مشاعر الحنين للوطن التي يشعر بها تجاه وطنه إسبانيا. أما العبارات: "الضيف الذي لا يقهر invictus hospes" مع "اليد اليمنى السعيدة felix dextera" في البيت السابع، والخالق والسيد auctor et dominus في البيت التاسع، وفي النهاية "قيصر العظيم magnus Caesar" في البيت التاسع عشر، ما هي إلا صفات تؤله يوليوس قيصر وتضعه في مصاف الآلهة. وبالتالي مقارنته ببومبي في نهاية الإبيجراما لا تعدو كونها مقارنتها نمطية، لأنها بين طرفين غير متساويين. والأكثر من ذلك عندما يتجسد دوميتيانوس نفسه "المولى والرب dominus et deus"، في شخص قيصر الآن، كغصن /برعم قيصري.

ويظهر قيصر وبومبي في الإشارة الثالثة في الإبيجراما (IX.70) كشخصين متصارعين، برغم صلة النسب

^١ يعلق Clarke على أولئك الذين ينظرون إلى كاتو أو بروتوس أو كاسيوس باعتبارهم أبطالاً، من الممكن الرد عليهم بأن النظام الجمهوري كان ميتاً بالفعل ولم يكن يستحق الحرب من أجله، وأن الحرب الأهلية لم تكن صراعاً بين الحرية والعبودية إنما بين اثنين من الأساطين، كما يشير Clarke إلى Sen., De Const. Sap. 2.2, Ep.7-13، انظر:

Clarke, *The Roman Mind*, 105.

^٢ Henriksen, *Martial, Book IX*, 80.

بينهما (3, gener atque soccer)، وحزينين في الوقت ذاته على الدماء التي تراق من جراء الحرب الأهلية. الكناية هنا ساخرة على نحو واضح، ولكنها تخدم سياق الإبيجراما الذي يلمح في البيت السابع إلى جنون الحرب / السيف *insania ferri* وتهور القادة *feritas ducum* في ذلك العصر المضطرب، والذي يسعى مارتياليس لمقارنته بعصر دوميتيانوس المسالم والسعيد. ومن ثم فإن إدانة الصراع الأهلي ومنفذيته، علاوة على أنه يمثل موقفًا موضوعيًا ومنطقيًا، فهو يخدم للإشادة بسلام دوميتيانوس.

وفي النهاية من الممكن الخروج بنتائج محددة حول علاقة مارتياليس بدوميتيانوس. فعندما يتورط الشاعر في نقاش حول بعض نماذج البطولة والقذوة من عصر الجمهورية *respublica*، يأخذ على عاتقه الرد على المعارضين الرواقيين، ويبدو أنه يصنف نفسه من بين المدافعين عن السلطة، ومن ثم فهو يشارك في الدعاية الرسمية، التي كانت تهدف للحفاظ على هيئة البلاط والسلطة واطهار دوميتيانوس كشخصية قوية وكريمة ومحبة للشعب ومقدسة، ومع ذلك لا تحمل مشاركة الشاعر في هذه الدعاية سمات المتملق للبلاط، بينما تحمل سمات رجل وشاعر سياسي مفكر، لم يتردد، وإن كان من خلال الصور البلاغية بشكل غير مباشر، في نصيحة دوميتيانوس بأن مستقبله يتوقف على أفعاله وأفكاره، كما رأينا في الإبيجراما IX.61.

مارتياليس وأوغسطس

إشارات مارتياليس إلى أوغسطس¹، رغم وفرتها، يصلح القليل منها كمادة مناسبة لدراستنا الحالية، نظرًا لعدم وجود حتى ولو إبيجراما واحدة مخصصة بشكل كامل لأوغسطس أو لأحد أعماله، بإستثناء الإبيجراما XI.20. وربما يوحي غياب الإبيجرامات هذه بأن أوغسطس لم يكن ليضيف إلى اختيارات مارتياليس السياسية والنقدية، على اعتبار أنه لم يكن يمثل شخصية تاريخية خلافية، مثل يوليوس قيصر أو كاتو، كما رأينا أعلاه، إذ كان يحظى باحترام الجميع ويعتد نموذجًا مميزًا يحتذى من قبل كل القياصرة الذين جاءوا بعده.

ويظهر اسم أوغسطس للمرة الأولى في كتاب المشاهدات (30) Spec. 34:

Augusti labor hic fuerat committere classes
Et freta navali sollicitare tuba.
Caesaris haec nostri pars est quota? vidit in undis
Et Thetis ignotas et Galatea feras;
Vidit in aequoreo ferventes pulvere currus 5
Et domini Triton isse putavit equos:
Dumque parat saevis ratibus fera proelia Nereus,
Horruit in liquidis ire pedestris aquis.
Quidquid et in circo spectatur et amphitheatro,
Dives, Caesar, id, praestitit unda tibi. 10
Fucinus et diri taceantur stagna Neronis:
Hanc norint unam saecula naumachiam.

انه انجاز أوغسطس أن تخوض السفن المعارك هنا،

وأن تهتاج البحار بالبوق البحري،

كم يعد هذا جزء صغير من منجزات قيصرنا!

¹ Mart. Spec. 34(30).1: Augusti labor, II.59.2, 4: Caesareus tholus/ deus, VI.7.1 et 22.3: lex Iulia, VI. 38.6: Iulia tecta, VII.40.1: Augusta aula, VIII. 66. 10: dederit.../ et Caesar genero sacros honores, IX.1.2: Augustus (sc.mensis), 34.2: polus Augusti, XI.20: Caesaris Augusti lascivi versus.

- ولقد شاهد ثيتيس Thetis وجالاتيا Galatea وحوشا غير معروفة (وسط المياه)
 وشاهد تريتون Triton العجلات الحربية المتحمسة على زيد البحر
 ٥ وظن أنها تتجه إلى جياذ سيده (نبتون)،
 وبينما نيريوس Nereus كان يعد حروبًا طاحنة مع القوارب الشرسة،
 خشي أن يسير راجلاً على المياه المتدفقة.
 إن ما يمكن مشاهدته في الحلبة والمدرج، يا قيصر،
 ١٠ تؤديه لك مياهاك الغنية هنا.
 فلتتوقف بحيرة فوكينوس Fucinus ونيرون المرعب عن الضجيج،
 فمشهد المعركة البحرية هذا هو الوحيد الذي ستعرفه الأجيال.

من المهم لفت النظر إلى أن مارتياليس في إشارته الأولى لاسم أوغسطس Augustus في البيت الأول، يقصد به أوكتافيانوس وليس أي قيصر آخر، وهو ما يسري على الكتب الصادرة في السنوات اللاحقة. ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن تيتوس الذي أهدي إليه مارتياليس كتاب المشاهدات Liber Spectaculorum يُشار إليه بشكل دائم باسم قيصر Caesar كما في البيت الثالث لتمييزه عن أوغسطس، وهذا الاختلاف في التسمية لا يمكن أن يكون مصادفة. وبعض النظر عن المعنى الذي كان يدور في ذهن مارتياليس يبدو أن هذا الاختلاف يخدم هنا طريقة ترقب الحدث التي يتبناها الشاعر. وبالتالي يظهر شخص أوغسطس المحترم والمهيب في أول كلمة من الإيجراماة للتأكيد على أسبقية انجازه، الذي يتمثل في أول عرض لمشهد معركة بحرية في المنطقة، والتي يقدم فيها تيتوس الآن مشهده الخاص به^١.

ومن خلال البيت الثالث والتساؤل: (كم يعد هذا جزء صغير من منجزات قيصرنا! Caesaris haec nostri pars est quota?)، يفرض الشاعر مقارنة اجبارية بين أوغسطس وقيصر (تيتوس)، والتي تتطور تدريجياً مع النقاش في الأبيات ٣-١٠، وتجعل مركز الثقل في الإيجراماة ينتقل من جانب أوغسطس إلى تيتوس. وبوجه مارتياليس الإيجراماة إلى ذروتها مع البيت الثاني عشر: (مشهد المعركة البحرية هذا هو الوحيد الذي ستعرفه الأجيال Hanc norint unam saecula naumachiam)، خاصةً عندما يشير في البيت الحادي عشر في بيت واحد ووحيد إلى المشاهد المماثلة التي قدمها كلاوديوس ونيرون: (فالتوقف بحيرة فوكينوس ونيرون المرعب عن الضجيج Fucinus et diri taceantur stagna Neronis)^٢.

ونحن نرى أن محاولة مارتياليس قلب وضع الرمزين رأساً على عقب، قاصراً المقارنة بينهما على عنصر واحد هو مشهد المعركة البحرية، مناسبة لنوع الإيجراماة، ولكن على أية حال تعتبر معركة تيتوس البحرية الأفضل، لأنها تعرض بين مشاهدي مارتياليس المعاصرين، إذ لا يمكن لأحد متابعة مشهد معركة أوغسطس البحرية، لأن المسافة

^١ قام يوليوس قيصر بعرض مشهد المعركة البحرية للمرة الأولى، كما يخبرنا سويتونيوس بذلك (Caes. 39). وفيما يتعلق بالموقع الذي قدم فيه تيتوس مشهد المعركة البحرية في بحيرة صناعية في منطقة nemus Caesarum، قارن: Suet. Tit. 7, Dio 66.25. وانظر: Λεονίδας Τρομάρας, Ανθολογία λατινικού επιγράμματος, [ηλεκτρ. βιβλ.] Αθήνα: Σύνδεσμος Ελληνικών Ακαδημαϊκών Βιβλιοθηκών (Αθήνα: 2015), 144. Διαθέσιμο στο: <http://hdl.handle.net/11419/2003>.

^٢ لقد قدم كلاوديوس مشهداً لمعركة بحرية بين أهل صقلية ورودوس في بحيرة فوكينوس، شرق روما، قبل جفافها بقليل، قارن سويتونيوس (Suet. Claud. 21)، وعن معركة نيرون البحرية لدينا شهادة سويتونيوس (Suet. Nero. 12) القائلة بأن المياه التي استخدمها كانت مالحة وكانت الوحوش البحرية تسبح في وسط البحيرة.

الزمنية تقف عائقًا أمامه، فلقد مر على هذا المشهد على الأقل من سنتين إلى سبعين عامًا.

وهناك اشارتان أخريان تتعلقان بالطبيعة الإلهية لأوغسطس، أولاهما:

Mica vocor: quid sim cernis, cenatio parva:

Ex me Caesareum prospicis ecce tholum.

Frangere toros, pete vina, rosas cape, tinguere nardo:

Ipse iubet mortis te meminisse deus. (II.59)

يطلقون عليّ اسم غرفة الطعام. أنت تري ماذا أكون، غرفة طعام صغيرة:

انظر! من خلالي أنت تشاهد من هنا منظر قبة قيصر،

مَزَقٌ وسادات الأرائك، ابحت عن الخمر، احصل على الزهور، تَطَيَّبٌ بالناردين،

الإله نفسه يأمرك بتذكر الموت.

في هذه الإبيجراما الوعظية / التحذيرية، تخاطب¹ غرفة الطعام المجسدة²، والتي بناها دوميتيانوس، القارئ مقترحة عليه تبني موقف الراحة والبهجة ازاء الحياة وأطايها (البيت الثالث)³. يشاهد المرء من قمة الغرفة ساحة مارس Campus Maritus وبخاصة قبة قيصر Caesareus tholus (البيت الثاني)⁴، أي القبر الذي بناه أوغسطس عام ٢٨ ق.م كضريح عائلي، وأيضًا كرمز للعظمة، فلقد دفن فيه شخصيا فيما بعد⁵. يصحب مارتياليس تصوير غرفة الطعام برسالة إبيقورية فمثلما يذكرنا القبر المجاور بأننا لا بد أن نموت يوما ما، فإن غرفة الطعام تقدم لنا فرصة الاستمتاع بالحياة طالما نعيشها، يسوق مارتياليس مبررًا لدعوته التي تحمل اعتقادا persuasio بمبادئ الفلسفة الإبيقورية⁶. نشأ من كون القبر الضخم لأحد الآلهة الميتة، وهو ميت عظيم، أوغسطس (البيت الرابع)، الذي يجب أن يذكرنا قبره بأننا ولدنا وأموات.

ومن المؤكد أن البيت الرابع يمثل تناقضا لفظيًا واضحًا ومميزًا، إذا أن كلمة الإله deus تشير إلى "أوغسطس الميت" لكنه "مؤلها"، ولا يتوقف هذا التناقض اللفظي عن تذكيرنا بكل الأباطرة، ولكن يذكرنا أكثر بدوميتيانوس نفسه مشيد غرفة الطعام mica. وإن كان بوسعنا تمييز سخرية ما ولو طفيفة في هذا التناقض اللفظي تجاه أوغسطس، فإن تلك السخرية يجب أن تكون أكبر بكثير تجاه دوميتيانوس وقد يقصد من ورائها المعنى التالي: "رائعة غرف الطعام بفخامتها وإطلااتها من أعلى على منظر مميز، خاص بسلفك العظيم الذي دفن فيه". لو أخذنا في

¹ عن فكرة المبني الذي يتكلم قارن حوار الشاعر والباب عند كاتولوس (c.67).

² لا شك أن الإشارة هنا إلى غرفة الطعام الذهبية mica aurea التي بناها دوميتيانوس على تل كايليوس Caelius، والتي تطل على مدفن أوغسطس في الجانب الشرقي من ساحة أو ميدان Campus Maritus، انظر:

Samuel Ball Platner and Thomas Ashby, *A Topographical Dictionary of Ancient Rome* (Roma : L'Erma di Bretschneider, 1965), 341.

³ فكرة الدعوة إلى التمتع بأطايب الحياة، تعود في بدايتها إلى مينيروس (West 7)، وتواصل ظهورها في الشعر الغنائي والتراجيديا والكوميديا الهيلينستية (يونانية ورومانية). قارن:

Catull. C. 5 and 7, Fordyce, Catullus, comm. ad.loc.

⁴ العبارة Caesareus tholus موجودة فقط عند مارتياليس، وتعني قبة أوغسطس المقدس tumulus divi Augusti، انظر:

Tac. Ann. 3.9, ThLL (Onom) II.36.42f. and 39. 77.

⁵ Ernest Nash, *Pictorial Dictionary of Ancient Rome* (New York: Hacker Art Books, 1981), II. 36.

انظر أيضًا: سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٠١.

⁶ Craig Williams, Martial, *Epigrams, Book Two, Edited with Introduction, translation, and Commentary* (Oxford: Oxford University Press, 2004), 198.

الإعتبار أن عام ٨٦/٨٥ م هو العام الذي تم فيه نشر الكتابين الأول والثاني لمارتياليس، فإن دوميتيانوس أصدر مرسومًا بموجبه يُنادي شفويًا وتحرييرًا بالمولى والرب *dominus et deus* - وهكذا فإن الإبيجراماة المشار إليها أعلاه تكتسب أهمية خاصة، نظرًا لأنها تعكس موقف مارتياليس الراض لمبالغة دوميتيانوس غير المسبوقة^٢. وتوحي بعدم إيمانه بمفهوم السلطة المؤلف لتأليه القياصرة. وبالفعل يتم نشر هذا الموقف الراض مرتديًا عباءة فكرة فلسفية شعبية وأدبية عن نقیصة الثروة والفخامة.

والإبيجراماة الثانية المتعلقة بطبيعة أوغسطس الإلهية هي IX. 34، فمن خلال مشهد إلهي لإحدى الموائد، فإن يوبيتر، وبالقرب منه آريس وأبوللو وأرتيميس وهيراكليس، ينظر إلى المعبد المهيب لضريح أوغسطس، هدية الفلايين^٣. ويضحك على قبره المتواضع والذي وفقًا لإحدى الأساطير^٤ يقع في ايدا Ida في كريت:

Iuppiter Idaei risit mendacia busti,
Dum videt Augusti Flavia templa poli, (1-2).

يسخر يوبيتر من زيف قبره في ايدا Ida

عندما شاهد المعبد الفلافي لضريح أوغسطس.

وعلى النقيض من موقف مارتياليس في الإبيجراماة السابقة، فإن أمر ضريح أوغسطس يعرض هنا كأمر مسلم به ولا جدال فيه^٥، ويمكن تفسير تغيير موقف الشاعر بأن الكتاب الثاني من الإبيجرامات منذ نشره عام (٨٦/٨٥م)، الذي تنتمي إليه الإبيجراماة السابقة وحتى الكتاب التاسع (٩٤/٩٥م) مرت من تسع إلى عشر سنوات من نشاط التأليف، بانقضائها فقد مارتياليس الكثير من استقلاله. علاوة على أن الكتاب التاسع يسبقه الكتاب الثامن الذي أهده مارتياليس شخصيًا لدوميتيانوس، وفوق ذلك يحيا الشاعر في ذلك الوقت سنوات صعبة وخطيرة (٩٣-٩٦م) والتي تلت مؤامرة ساتورنينوس (٨٨م).

ومن بقية الإشارات، والتي ليس لها دلالة خاصة، هناك اثنتان (VI.7.1, VI.22.3) تخصان أحياء دوميتيانوس لقانون يوليوس لمكافحة الزنا *Lex Iulia de adulteriis* لأوغسطس^٦، عندما كان رقيبًا أبديًا *ensor perpetuus* وضع قيد التنفيذ برنامجًا اصلاحيًا من خلال قانون للأسرة وأخلاق المجتمع الروماني:

Iulia lex populis ex quo, Faustine, renata est
Atque intrare domos iussa Pudicitia est,
Aut minus aut certe non plus tricesima lux est,

^١ انظر سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ٢٢١.

^٢ مبالغة دوميتيانوس غير مسبوقة لأنه لم يطلب أحد من القياصرة قبله أن يُنادى بهذه الألقاب المقدسة.

^٣ بني دوميتيانوس معبد السلالة الفلافية *Templum gentis Flaviae* على تل الكورينال *Quirinalis collis* في المكان الذي ولد فيه، ولكن نظرًا لأن مارتياليس تحدث في الإبيجراماة الأولى من الكتاب التاسع عن افتتاحه والكتاب التاسع نشر حوالي ٩٤ م أو ٩٥ م يمكننا أن نعرف على الأقل متي اكتمل، لقد كان مبنى ضخم تم بناؤه ليكون مدفنًا للأسرة الفلافية، ولقد دفن فيه وفقًا لسويتونيوس (Dom. 17) رماد دوميتيانوس المتوفي، انظر:

Platner- Ashby, *A Topographical Dictionary*, 247.

^٤ يبدو هنا أن مارتياليس يتبنى رأي كاليماخوس القائل بأن جوبيتر ولد في أركاديا *Arcadia* وليس في ايدا Ida في كريت. انظر:

Pierre Grimal, *Λεξικό της Ελληνικής Ρωμαϊκής Μυθολογίας*, εκδ. Β. Ατσαλος (Θεσσαλονίκη: University Studio Press, 1991), 175.

^٥ Mart. IX. 1.9: manebit altum Flaviae decus gentis, IX.3.12: Latio Flavia temple polo.

^٦ الإشارة هنا إلى قانون يوليوس الخاص بالزواج *Lex Iulia de maritandis ordinibus* لعام ١٨ ق.م، والذي يضم قانون يوليوس لمكافحة الزنا *Lex Iulia de adulteriis* (أيضًا عام ١٨ ق.م).

Et nubit decimo iam Telesilla viro.
Quae nubit totiens, non nubit: adultera lege est. 5
Offendor moecha simpliciore minus. (VI. 7)

منذ أن أعيد إصدار قانون يوليوس للشعب يا فاوستينوس،
وأمرت العفة بالدخول إلى البيوت،
في أقل من ثلاثين يومًا وليس أكثر،
تزوجت تيليسيليا Telesilla زوجها العاشر،
من تتزوج كثيرًا، لم تتزوج، وانما هي بغي بموجب القانون،
أنا أتعرض لإهانة أقل من عاهرة أكثر استقامة.

Quod nubis, Proculina, concubino
Et, moechum modo, nunc facis maritum,
Ne lex Iulia te notare possit:
Non nubis, Proculina, sed fateris. (VI.22)

أنتي تزوجتي خليلك يا بروكولينا،
وجعلتي من عاهر الأمس زوجا لك،
لدرجة أنه لا يمكن لقانون يوليوس أن (يدينك) يسمك بعلامة العار:
إنه ليس زواج يا بروكولينا، إنه إقرار (بالزنى)

كانت عواقب إصدار هذا القانون في كلا الحالتين هزيلة، فمن المؤكد تاريخياً أن أخلاق المجتمع عندما تتراهل فإن صرامة القوانين لا تجدي، بل تؤدي فقط إلى تشوهات، إذ أنها من حيث الناحية النظرية جيدة، أما من الناحية العملية فهي محدودة التأثير¹. وهكذا فإن مارتياليس ينتقد في القصيدتين التأثيرات الجانبية عند تطبيق مجموعة القوانين هذه ويتبنى ازاءها موقفاً سلبياً واضحاً، بالرغم من أنه في البيت الأول من الإيجرامنة VI.4 يحتفي بدوميتيانوس بعبارة الرقيب الأعظم censor maxime، معلناً في البيت الخامس أن روما تدين له بالكثير لكونها صارت عفيفة Plus debet tibi Roma, quod pudica est. ولو أخذنا في الاعتبار بشكل خاص القصيدتين VI. 45 و VI. 91، لأدركنا بسهولة سخرية الشاعر، ومن ثم فإن موقفه الراض والناقد لا يحمل سمة المواجهة السافرة². وفي تعليق Dixon على هذه الإيجرامنة تذكر بأنه "في ظل قانون يوليوس يمكن للرجل الذي يبقي على أمة حرة ومحترمة كمحظية أن يواجه بتهمة العار، بينما يمكن للمرأة المعتقة البغي والمدانة بالزنا أن تكون محظية"³.

يتجه موقف مارتياليس الراض في كلا القصيدتين المذكورتين أعلاه، بشكل مباشر ضد السياسة الأخلاقية

¹ Rebecca Langlands, *Sexual Morality in Ancient Rome* (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), 362, Teresa Jeanne Calpino, "The Lord Opened Her Heart: Women, Work, and Leadership in Acts of the Apostles" (PhD Diss., Loyola University Chicago 2012), 152.

² عن الطريقة التي يطبقها مارتياليس بغرض اعلان موقفه الراض للبرنامج الأخلاقي لدوميتيانوس انظر: John Garthwaite, "Martial, Book 6, on Domitian's Moral Censorship", *Prudentia* 22 (1990): 13-22. ونقابل في وقت لاحق موقف يوفيناليس الراض (II. 29ff.)، وكذلك بلينيوس الأصغر (Paneg. 63)، اللذين يدينان فسوق دوميتيانوس، خاصة ما يتصل بعلاقاته الغرامية بابنة أخيه يوليا Iulia، وتتناقض تصرفاته مع البرنامج الأخلاقي الذي أحياه هو بنفسه.

³ Jessica Elizabeth Dixon, "The Language of Roman Adultery" (PhD Diss., University of Manchester 2012), 151.

لدوميتيانوس وغير مباشر ضد أوغسطس، فيما يتعلق بالإجراء الذي يتصل بالدعاية الحكومية لدوميتيانوس التي يجب أن تستخدم أحد الأطر النظرية والحجج لتبرير ودعم إعادة إحياء قانون أوغسطس حول الأخلاق. وهناك إشارة أخرى إلى أوغسطس في الإبيجرام ٦٦ من الكتاب الثامن. والإشارة الموجودة في البيت العاشر لا تقدم شيئاً هاماً نحو موقف الشاعر من أوغسطس^١. ولكنها مهمة فيما يخص علاقة مارتياليس بدوميتيانوس ومواقف الشاعر السياسية عموماً:

Augusto pia tura victimasque
Pro vestro date Silio, Camenae.
Bis senos iubet en redire fasces,
Nato consule, nobilique virga
Vatis Castaliam domum sonare 5
Rerum prima salus et una Caesar.
Gaudenti superest adhuc, quod optet,
Felix purpura tertiusque consul.
Pompeio dederit licet senatus
Et Caesar genero sacros honores, 10
Quorum pacificus ter ampliavit
Ianus nomina: Silius frequentes
Mavult sic numerare consulatus. (VIII.66)

أياً ربات الفن، قدمن البخور الملائم والأضاحي لأوغسطس
من أجل شاعرك سيليوس ايتاليكوس.

فلقد صار ابنه قنصلاً، وأمر قيصر منقذ المعمورة الأول والوحيد
أن تعود القضبان الخشبية الاثني عشر والبلطات (فاسكيس)،

وأن يردد منزل الشاعر في كاستاليا صدي قرع الباب بالعصا النبيلة،
ورغم سعادته، إلا أنه لا يزال يتبقى لديه ما يتمناه له:

الرداء الأرجواني السعيد والقنصلية للمرة الثالثة،

ربما منح مجلس السناتو لبومبي وكذا قيصر لصهره ألقاباً مقدسة
ولقد بجل يانوس صانع السلام أسماءهم ثلاث مرات،

ولذا فإن سيليوس يفضل أن يحصي قنصليات متكررة.

من المعلوم أن الكتاب الثامن تم إهداؤه إلى دوميتيانوس، كما يفهم من الرسالة التمهيدية له. ومن ثم يعد كتاباً خاصاً بالقيصرية، تم نشره في ديسمبر عام ٩٤م. عندما عاد دوميتيانوس من حملته على السوفييين Suevi والسارماتيين Sarmatae (مايو ٩٢ - يناير ٩٣)^٢. ويكمن سبب تأليف الإبيجرام في تكليف لوكيوس سيليوس ديكيانوس L. Silius Decianus، الابن الأكبر للشاعر سيليوس ايتاليكوس، لوظيفة القنصل التي كان سيتولاها في سبتمبر ٩٤م^٣. يشير مارتياليس إلى دوميتيانوس بمصطلحات تعبدية (Rerum prima salus et una)

^١ قد يكون من الممكن ملاحظة أن اسم أوغسطس Augustus في البيت الأول غير مقصود به أوغسطس وإنما دوميتيانوس، بينما يطلق على أوغسطس في البيت العاشر قيصر وكذلك على دوميتيانوس في البيت السادس. وما يمكن استنتاجه من هذا الاستخدام المذكور أعلاه بأن أوغسطس Augustus يشير إلى الجانب المجتمعي والديني لدوميتيانوس، بينما قيصر Caesar إلى سلطاته السياسية والعسكرية.

^٢ Sullivan, *Martial*, 37.

^٣ Sullivan, *Martial*, 40 n 52.

(Caesar, 6)،^١ وصاغ أمنية لصالح الأب ايتاليكوس، الذي كان قد تولى هو شخصيًا بالفعل منصب القنصل، بأن يجئ حاملو العصي في موكب القنصل للمرة الثالثة إلى بيت الشاعر في كاستاليا، وهو يقصد من وراء هذه الأمنية أن يرى ابنه الأصغر وقد تم تشريفه بوظيفة القنصل.

في مثل تلك الإبيجراماة الموجودة في كتاب خصص للقيصر، لم ينتظر أحدٌ من مارتياليس الإشارة إلى الإجراءات الجمهورية الخاصة بالانتخابات القنصلية. ولو أراد مارتياليس تقادي هذه العقبة لعدم مضابفة دوميتيانوس، كان بوسع الإشارة فقط إلى أوغسطس وصهره ماركوس أجريبيا^٢، وعلى الجانب الآخر هو لم يشر فقط إلى بومبي لكنه أضاف كلمة *licet* الاستدراكية ليبرز التناقض بين السلطة في تلك الأوقات والسلطة المعاصرة.

وقد يكمن التفسير في العبارة *sic mavult Silius* في البيتين الأخيرين، فهنا ينقل مارتياليس عمدا تفكيره (البيتان ٩-١٠) إلى الوالد ايتاليكوس معلناً رغبةً صديقه الشيخ المحترم وصديق الإمبراطور في أن يحصل ابنه على وظيفة القنصل، كما حصل هو شخصياً على لقب قنصل عام ٦٨ م في عهد نبرون، وبغض النظر عن أن بومبي واجريبيا حصلا على المنصب على أساس أعمالهما وشجاعتهما في ميدان القتال (*ter ampliavit/ Ianus*) (nomina, 11ff.)، على أية حال فإن نسبة هذه الأفكار إلى إيتاليكوس لا تعدو كونها حيلة من الشاعر، فمن الواضح أن الأفكار التي صيغت في البيتين التاسع والعاشر وعلق عليها في البيتين الحادي والثاني عشر تخص مارتياليس بشكل حصري.

من الواضح هنا أن مارتياليس كان في عام صعب من الناحية السياسية وكان يبدو كشاعر صاحب صوت مستقل ورأي صريح، ومن الممكن أن يصنف، إن لم تكن في ذلك مخاطرة، على أنه رجل لديه قناعات جمهورية، أو أنه كمواطن يثمن الإجراءات الجمهورية في الماضي. ومن ثم تتراجع آراؤه الجمهورية أي الخيار بين السلام *pax* والحرية *libertas*، أمام ضرورة العصر والتغيير التاريخي لنظام الحكم، وهكذا وفي إطار الظروف المعاصرة، فإن انقاذ روما والعالم كله أمر من شأن الإمبراطور وحده (البيت السادس)، وفي الواقع لا يعد هذا الرأي موقفاً مقصوراً على مارتياليس، إذ يمثله قطاع عريض من مجلس السناتو، وهو الرأي الذي ينتشر عقب جلوس أي إمبراطور على العرش، ويبدو أن كلا من تاكيتوس وسينيكا لهما نفس الرأي^٣، كما يتضح في فقرات كثيرة عند سويتونيوس عندما يشير على سبيل المثال إلى اغتيال كاليجولا، ويعلن أنه لم يصدق أحد خبر الاغتيال، وأن المتأمرين لم يتكهنوا بوريث العرش^٤، الأمر الذي يدل على أن الهدف في مثل هذه الحالات لم يكن إحياء الجمهورية وإنما تغيير الأشخاص.

تقع الإشارة الأخيرة لأوغسطس والأكثر طولاً في الإبيجراماة العشرين من الكتاب الحادي عشر:

Caesaris Augusti lascivos, livide, versus
Sex lege, qui tristis verba latina legis:

¹ Cf. Mart. II. 91: Rerum certa salus, terrarum gloria, Caesar, Sospite quo magnos credimus esse deos, V.1.7f.

^٢ كما هو معروف فإن أوغسطس زوج ابنته يوليا لماركوس أجريبيا عندما فقدت زوجها الأول ماركيلوس، انظر: Suet. Aug. 63.

³ Tac. Hist. I.1, Ann.I.2, Clarke, *The Roman Mind*, 111

⁴ Suet. Cal. 60.

تتضح معارضة مجلس السناتو أيضاً في حالة خلافة تيبيريوس لأوغسطس عندما كانت ذكرى الجمهورية لا تزال حية.

'Quod futuit Glaphyran Antonius, hanc mihi poenam
Fulvia constituit, se quoque uti futuam.
Fulviam ego ut futuam? quid si me Manius oret 5
Pedicem, faciam? non puto, si sapiam.
"Aut futue, aut pugnemus" ait. Quid, quod mihi vita
Carior est ipsa mentula? Signa canant!
Absolvis lepidos nimirum, Auguste, libellos,
Qui scis Romana simplicitate loqui. 10

أيها الحقود، يامن تقرأ الكلمات اللاتينية عابثًا

اقرأ الأبيات الستة الخليعة (التالية) لقيصر أوغسطس:

نظرًا لأن أنطونيوس عاشر جلافيرا،

فرضت فولفيا هذا العقاب عليّ، أن أتصل بها جنسيًا.

لماذا اتصلت بها جنسيًا؟ ماذا لو توصل لي مانويوس لأعاشره،

هل عليّ أن أفعل؟ أعتقد لا، لو كنت أفكر بتعقل،

هي تهددني، "إما أن تعاشرنني، وإلا فلننتقائل"

لكن عضوي أعز عليّ من حياتي كلها،

فلتدوي أبواق الحرب".

فأنت بلا شك يا أوغسطس، تيرر لي كتبي الضئيلة المسلية،

فأنت من يعرف كيف يتكلم بالصراحة الرومانية. ١٠

لكي يبرر مارتياليس مرة أخرى الكلمات الخليعة لفنّه الأدبي، الإيجراما^١، يستشهد بستة أبيات ماجنة وفاضحة لأوغسطس نفسه، على نمط أبيات بريابوس Priapus، والتي تشير إلى توسلات فولفيا Fulvia، زوجة أنطونيوس، لأوغسطس، والذي يبدو أنه في نهاية الأمر رفض الرضوخ لها، بالرغم من اعلانه بأن عضوه أعز عليه من حياته ذاتها (8) (vita / carior est ipsa mentula). ولدينا شهادة سويتونيوس (Aug. 85.2) بأن مجموعة من إيجرامات أوغسطس كان يتم تداولها في عهده، والتي من الممكن ان ينتمي إليها اقتباس مارتيالي^٢.

أما ثناء مارتياليس على صراحة كلمات أوغسطس simpliciter verborum في البيت العاشر فله دلالاته – كانت تلك الصراحة معروفة ومضرباً للأمثال^٣ – إذ أنها تتفق مع مفردات الشاعر الخليعة التي تتفق ولغة الإيجراما

^١ يشعر مارتياليس الآن وبوضوح بأن هناك حاجة للاعتذار يجب أن يكررها تجاه الإمبراطور الجديد نيرفا، خاصة وأن الكتاب الحادي عشر نشر في ديسمبر من عام ٩٦ م، أي بعد شهور قليلة من مقتل دوميتيانوس في ١٨ سبتمبر لعام ٩٦ م.

^٢ فيما يتعلق بالسياق التاريخي لتلك الأبيات (حرب بيروسيًا bellum Perusinum بين اوكتافيانوس ولوكيوس أنطونيوس عام ٤١ ق.م.). انظر:

Kay, Martial, *Book XI, Commentary* ad.loc.; Mitchell Reece Pentzer, "Dark Humor in Imperial Latin Literature" (PhD Diss., University of Colorado: 2015), 79-80.

وكذلك:

Christopher Ehrhardt, "Two Quotations by Augustus Caesar", *Liverpool classical monthly* 11 (1986), 132-133.

والذي يرى أن الأبيات (٧-٨) تمثل محاكاة ساخرة لتعبير مشابه عند يوليوس قيصر (BG 1.9.2)، عندما كان يعبر نهر الروبيكون Rubico.

^٣ Suet. Aug. 86.

(Lascivam verborum veritatem, id est epigrammaton linguam, I Praef. 9f.)¹. ولذا فإن موقف الشاعر من ناحية أوغسطس يشبه موقفه الذي يشير إليه شخصيًا في مقدمة كتابه الأول تجاه زملائه الذين يمارسون نفس نشاطه الفني، عندما يستحضر لهم في السطر الحادي عشر وما يليه من المقدمة نماذج سابقة استخدمت تلك اللغة الخلية: "كيف كان يكتب كاتولوس ومارسوس وبيدو وجايتوليوس" (sic scribit Catullus) (sic Marsus, sic Peto, sic Gaetulicus)، والأهم من كل ذلك ان القدوة / النموذج هو أوغسطس الذي يشير إليه الشاعر بطريقة مثيرة ومدهشة في بداية الإبيجراممة بعبارة القيصر أوغسطس (Caesaris Augusti) كي ينهي بشكل مدّش بهذه الإبيجراممة مجموعة إبيجرامات مارتياليس الخاصة بأوغسطس.

من الممكن أن نستنتج من تحليل تلك الإبيجرامات المشار إليها أعلاه أن مارتياليس لم يكتب نقدًا جوهريًا ورفضًا لأوغسطس، لكن السخرية المهذبة التي نلاحظها في الإبيجراممة II.59 ربما تخدم أهدافًا شعرية ولكنها غير جوهريّة، كما هو الحال في الإشارة إلى قانون يوليوس Lex Iulia في الإبيجراممة VI.7.1 والإبيجراممة VI.22.3 التي لن تجعل القارئ يشارك في رفض أوغسطس.

وعلى الجانب الآخر يمكننا الزعم بأن مارتياليس قدم صورة إيجابية لأوغسطس، فقد استخدم صورته كنموذج للمقارنة الإيجابية في كتاب المشاهد (30) Spec.34 حيث يعرض تيتوس مشهدًا لمعركة بحرية أفضل من مشهد أوغسطس الذي كان يمثل إنجازًا مهمًا، وكذلك كنموذج للكتابة الشعرية (الإبيجراما) في XI.20 حيث صراحة كلمات أوغسطس الرومانية Romana simplicitas verborum التي يتبناها مارتياليس كنمط شعري.

وإذا كانت الإبيجرامات المشار إليها لا تقدم نتائج مثيرة تجاه أوغسطس، إلا أنها تكشف عن موقف الشاعر إزاء دوميتيانوس. وبخاصة في الإبيجراممة II.59 التي تمثل مداخلة نقدية واضحة لمارتياليس في موضوع إضفاء الصبغة الإلهية على الإمبراطور. على الرغم من أن البيت الرابع في هذه الإبيجراممة يتصل بالتأليه الشهير والمقبول للقيصر الرومان بعد الموت، ومن ثم، إذا ارتبط بمرسوم دوميتيانوس الإمبراطوري بأن يُنادى بالمولى والرب dominus et deus، والذي يتوافق زمنيًا مع نشر الكتاب الثاني لإبيجرامات مارتياليس (٨٦/٨٥ م)، فإن البيت يبدو كخاتمة ذكية acumen ضد هذا المطلب المبالغ فيه، ويشير على أية حال إلى عدم قدرة الشاعر على الاعتقاد بضريح قيصر. وعلى النقيض فإن موقف الشاعر تجاه الضريح الأوغسطي يبدو أنه قد تغير لصالح دوميتيانوس في الإبيجراممة IX. 34 حينما يتكلم كشاعر بلاط.

ويدلل مارتياليس على موقف الرفض أو على الأقل الناقد في القصيدتين VI. 7 و VI. 22 اللتين تتصلان بإحياء قانون يوليوس لمكافحة الزنا Lex Iulia de adulteriis من خلال السخرية من شخصيتين ثانويتين يحاول إلقاء الضوء على الخلل الناجم عن فرض الحياء pudicitia من خلال سن أحد القوانين.

أما إعلان مارتياليس الأكثر رفضًا للسلطة القيصيرية نقابله في الإبيجراممة VIII.66، حيث لم يكن القارئ يتوقع أن يعرب الشاعر عن آراءه واهتماماته السياسية. ويذكرنا هذا بوضوح بكلمات بلينيوس الأصغر في خطاب المديح Panegyricus الموجه إلى الإمبراطور تريانوس بمناسبة نقله القنصلية يعترف معلنًا بأنه الآن: "ليس ثمة خطورة في أن يعتقد أنني أنتقد كبرياءه عندما أتحدث عن إنسانيته، أو إلى ترفه الشديد عندما اتكلم عن اقتصاده، أو إلى قسوته عندما اتكلم عن رحمته..." (Non enim periculum est ne, cum loquar de) humanitate, exprobrari sibi superbiam credat; cum de frugalitate, luxuriam; cum de

¹ Kay, *Martial, Book XI*, comm. ad.v. 10.

3.4). (clementia, crudelitate). ويكلمات أخرى فإن بلينيوس يصف الشك المخيف لدوميتيانوس الذي يؤدي بالمحيطين به إلى إخفاء مشاعرهم خلف الكلمات¹.

وهكذا فإن مارتياليس في هذه الإيجراماة يخفي خلف مديحه لقيصر ميلا لتفضيل الماضي في روما عندما كان مجلس السناتو رمزًا وحصنًا للجمهورية ويقر انتخاب القناصل الذي يتم من قبل جمعية المئة comitia centuriata من خلال إجراءات جمهورية. ونقول بأنه يخفي ميله، لأن الإشارة إلى مجلس السناتو ويومي تلي الإشارة إلى أوغسطس وصهره في البيت العاشر، كنموذج exemplum من الممكن أن يستقبله دوميتيانوس على نحو إيجابي، بينما يمثل عند مارتياليس معنى آخر، وكون أجريبا شخصية بارزة تستحق القنصلية لأن يانوس بجلّ كلا من أجريبا ويومي ثلاث مرات (Ianus ter ampliavit nomina, 11).

مارتياليس وكلاوديوس:

إنه لمن المثير للغرابة أن مارتياليس لم يشر نهائيًا في عمله لخليفتي أوغسطس تيبيريوس (١٤-٣٧م) وكاليجولا (٣٧-٤١م). ولا يمكن اعتبار السبب في ذلك أن القيصرين لا يضيفان شيئًا لكتابة مارتياليس الساخرة، خاصة وأن السنوات الصعبة الأخيرة لتيبيريوس وكل مدة ولاية كاليجولا المختل نفسيًا وعقليًا² تضيف مادة مناسبة للسخرية. والمشكلة لا تكمن هناك، لو وضعنا في الاعتبار الإيجرامات المتعلقة ببوليوس قيصر وأوغسطس المشار إليها أعلاه، سندرك أنها جميعًا إيجرامات ساخرة وتخص الأوضاع الراهنة التي يعيشها الشاعر، سواء كانت تتناول أشخاصًا أو أحداثًا أو تتصل بنقاشات حول الديمقراطية والحرية والتي تدور في إطار ما يطلق عليه المعارضة الرواقية، ويجعلنا هذا ننتيقن أن كلا من تيبيريوس وكاليجولا كانا لا يمثلان مادة للنقاشات والاختلافات في عصر مارتياليس، ولا يعتبران كذلك من الشخصيات ذات الوزن السياسي أو الأهمية التي كانت لأسلافهم العظام. ومن ثم لا يوجد سببًا يدعو مارتياليس للتعرض لهما أو تصويرهما في مؤلفه.

وإذا كانت الاشارات إلى كل من تيبيريوس وكاليجولا غابت تمامًا عن إيجرامات مارتياليس - غابت كذلك شخصية سيانوس Seianus القوي، قائد الحرس البرابيتوري لتيبيريوس³ - فإن معظم الاشارات إلى كلاوديوس (٤١-٥٤م) كانت قليلة الأهمية، يشير مارتياليس إليه سبع مرات بصورة مباشرة أو غير مباشرة،⁴ بينما لا يتحدث عن زوجاته سيئات السمعة ولا معتقيه في الحكومة سيئي السمعة.

أول اشارتين في كتاب المشاهدات هما:

Claudia diffusas ubi porticus explicat umbras,
Ultima pars aulae deficientis erat. (Spec. 2. 9-10)

هناك حيث يبسط رواق كلاوديوس ظلاله الممتدة،

كان يأتي الجانب الأبعد من نهاية البلاط.

¹ Jon Hall William Dominik, *A Companion to Roman Rhetoric* (Malden, Mass.: Blackwell, 2007), 142.

² سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٤٦.

³ على الرغم من أن يوفيناليس يشير إلى سحبه وجره كمشهد لتسلية للجميع:

Iuv. 10. 66f.: Seianus ducitur unco / spectandus, gaudent omnes, cf. 10.63, 76, 89f, 104.

⁴ Mart. Spec. 2.9: Claudia porticus, 34.11: Fucinus, 1.13 (انتحار آريا- بايتوس)، 1.20.4 (boletum Claudii), III. 20. 3: temporum acta Claudianorum, VII.44.10 (Caesonius-Seneca), VIII. 52.3 (Drusorum barbae).

Fucinus et diri taceantur stagna Neronis (Spec. 34. 11)

فلتوقف بحيرة فوكينوس ونيرون المرعب عن الضجيج،

من الواضح أن مارتياليس يعتبر رواق كلاوديوس Claudia porticus¹، الذي يشير إليه في الاقتباس الأول (Spec. 2. 9-10)، هدية قيمة وعظيمة للشعب الروماني، وكذلك كل الآثار الباقية التي يعددها في الأبيات السابقة (siderius colossus, moles amphitheatri, thermae)، والتي بسبب التدخل الكريم من قبل الفلافيين، أعادوا التوازن البيئي والتجانس الإنساني الذي أفسده نيرون بهوسه غير الطبيعي للبناء.

ولكن الأمور تختلف في الاقتباس الثاني (Spec. 34. 11)، نظرًا لأن بحيرة فوكينوس تتصل مباشرة باسم كلاوديوس - كمدج للمشاهد البحرية قدمها كلاوديوس بنفسه² وكمصرف يقارن ببخيرة نيرون المرعب³، على أية حال لا توجد أية صفة مميزة لبحيرة فوكينوس Fucinus كما حدث مع نيرون الذي وُصف بالمرعب (dirus)، ومن ثم لو كان هناك ثناء على مشاهد تيتوس البحرية (البيت الثاني) في هذه الإبيجراما بالمقارنة مع نظيراتها لأوغسطس أو لكلاوديوس أو لنيرون، فإن المقارنة هذه تتم من خلال الحدود المسموح بها لثناء laudatio لائق، وفيما يخص كلاوديوس على الأقل لا يبدو أنه استخدم أو تبنى مقارنات سلبية.

وهناك إبيجراماتان تثيران اهتمامًا خاصًا في الكتاب الأول هما الثالثة عشر والعشرون، تشير أولاهما (I.13) إلى الانتحار البطولي لآريا:

Casta suo gladium cum traderet Arria Paeto,
Quem de visceribus strinxerat ipsa suis,
'Si qua fides, vulnus quod feci non dolet,' inquit,
'Sed tu quod facies, hoc mihi, Paete, dolet.

حينما سلمت آريا Arria العفيفة لزوجها بايتوس Paetus السيف،

قالت بمجرد أن نزعت من صدرها:

"لو كنت تثق في، فإن الجرح الذي أصبت به نفسي، لا يؤلمني،

ما يؤلمني الجرح الذي ستصيب به نفسك يا بايتوس".

عندما تم القبض على كايكينا بايتوس Caecina Paetus زوج آريا Arria عام ٤٢ م لاشترائه في محاولة فوريوس كاميلوس Furius Camillus الفاشلة ضد كلاوديوس⁴، رأته آريا مترددا في الموت بكرامة بما يليق بأحد النبلاء الرومان، انتحرت أولاً وأعطته السيف وهي تحضه على أن يلحق بها. هذا النموذج exemplum⁵ للمرأة

¹ رواق كلاوديوس، برغم أنه لم تتم الإشارة إليه في المصادر الأخرى، لا بد أنه يُعد جزءً من معبد كلاوديوس Templum Claudii الذي قامت أجرينينا بإهدائه إلى زوجها المؤله كلاوديوس على تل كايليس Caelius Mons. ولقد هدم نيرون المعبد لبني القصر الذهبي Domus aurea، لكن فسباسيانوس أعاد بناءه بعد ذلك:

Suet. Vesp. 9: fecit et nova opera. . . templum divi Claudii in Caelio monte, coeptum quidem ab Agrippina sed a Nerone prope funditus destructum

وانظر كذلك:

Platner and Ashby, *A Topographical Dictionary of Ancient Rome*, 120.

² انظر هامش ٦٧ وكذلك Suet. Claud. 20, 32, Caes. 44.

³ عن بحيرة نيرون stagna Neronis انظر أعلاه هامش ٦٧.

⁴ Suet. Claud. 13, 35.

⁵ فيما يتعلق بعرض الموضوعات التاريخية عند مارتياليس، انظر:

Peter Howell, *Martial, A Commentary on Book One* (London: Athlone Press, 1980), comm. ad I.18.

التي تمتلك فقط زوجا واحداً univira Arria موثق تاريخياً، مثل أقوالها الأخيرة: non dolet, Paete والتي يصفها بلينيوس الأصغر على أنها خالدة وغالباً مقدسة "vox immortalis ac paene divina"¹. كان اختيار مارتياليس عرض موضوع يتعلق بشجاعة امرأة وإحدى الفضائل الموروثة -وفقاً لأراء بعض الباحثين- بغرض التأثير على القارئ من خلال تقديم نبذة مختلفة لكلمات آريا، أو بغرض الإشادة ببطولتها، وليس بفكرها السياسي أو الدلالة السياسية لفعالها²، ولكننا نرى أن ذلك ليس بكاف ليعتبر سبباً لإلهامه أو هدفاً له. لأننا لو نظرنا إلى الإبيجرامات من منظور سياسي - حيث أن انتحار الزوجين في الواقع يأتي كنتيجة محاولة اغتيال الطاغية- نجد اختيار مارتياليس يتجاوز تناول الأدبي إلى تناول السياسي الذي يكشف عن صوت جريئ ومستقل في آنٍ واحدٍ، ومن ثم ليس غريباً أن نجد مثل ذلك الثناء laudatio في الإبيجرامات المعارضة للقيصرية، ومنها على سبيل المثال سير كاتو (بروتوس - ثراسيا بايتوس) أو سيرة ثراسيا بايتوس نفسه (يونيوستيكوس). ويمكن الدليل على أن هذا الخيار يحمل مدلولاً سياسياً في أن أسرة كايكينا بايتوس Caecina Paetus ترتبط بشكل مباشر بالمعارضة الرواقية، حيث إن صهره كلوديوس ثراسيا بايتوس P. Clodius Thrasea Paetus كان سياسياً وفيلسوفاً رواقياً ومنتزجاً من آريا الصغرى، وكان صاحب مبادئ جمهورية، كتب سيرة ذاتية عن كاتو تحمل نبذة معارضة للقيصرية، ولهذا السبب أجبره نيرون على الانتحار سنة ٦٦م³، فلقد كانت المعارضة تشير إليه كرمز وتصنفه كبطل بجوار النموذج التاريخي، كاتو⁴. ولقد كتب سيرته الذاتية في وقت لاحق يونيوستيكوس روستيكوس Iunius Arulenus Rusticus والذي حكم عليه بالموت سنة ٩٣ م (حوالي سبع أو ثمان سنوات بعد نشر الكتاب الأول لمارتياليس).

تأتي الإشارة الثانية إلى كلاوديوس في الكتاب الأول بصورة مباشرة وبالإسم في الإبيجرامات العشرين:

Dic mihi, quis furor est? turba spectante vocata
Solus boletos, Caeciliane, voras.
Quid dignum tanto tibi ventre gulaque precabor?
Boletum qualem Claudius edit, edas.

قل لي، ما هذا الهوس يا كايكيليانوس، فأنت وحدك تلتهم الفطر (عيش الغراب)

بينما جمهور المدعويين ينظرون إليك،

بماذا يمكنني أن أصلي من أجلك، بما يناسب تلك المعدة وذلك الشره؟

عساك أن تتناول ذلك الفطر، كما تناوله كلاوديوس.

كان نهم كلاوديوس وحبه الشديد للفطر على نحو خاص معروفاً للجميع، ويشير سويتونيوس في مواقف عديدة إلى اشتهاه له⁵، وهناك رأي سائد بأن موته قد جاء عن طريق السم، والذي قُدِّم له مع طعام أو شراب، ووفقاً لرأي الكثيرين فإن أجريبينا Agrippina هي التي قدمت إليه الفطر المسموم⁶. ومما يدعم هذا الرأي تلميحات نيرون

¹ Plin. Ep. 3. 16, Dio 60.16.5f.

² هناك بعض وجهات النظر الأخرى التي تفسر الموضوع من منظور أدبي، انظر:

Howell, *Martial*, comm. ad I.18, Sullivan, *Martial*, 129, 226.

³ Sullivan, *Literature and Politics*, Index s.v. Thrasea Paetus.

⁴ Mart. I.8, Tac. Ann.16.21f., Howell, *Martial*, comm. ad I.18.

⁵ Suet. Claud. 33, 44.

كان سينيكا (Apocol. 8.2) يلقبه بزعيم الساتورناليا Saturnalicus princeps، انظر:

P. Eden, *Seneca Apocolocyntosis* (Cambridge: Cambridge University Press, 1984), comm. ad loc.

⁶ Suet. Claud. 44.1:

نفسه الذكية وتلاعبه بالألفاظ، فهو قد اعتاد أن يطلق على الفطر طعام الآلهة "Ambrosia" أو يقول بأن كلاوديوس بموته "توقف عن لعب دور المجنون بين البشر".¹

من اللافت للنظر أن المصادر القديمة التي تشير إلى تسمم كلاوديوس تتحدث عن نوع معين الفطر boleti (باليونانية القديمة βωλίτης)²، كما هو الحال في نص مارتياليس، وليس أي نوع آخر، الأمر الذي يعني وجود اتفاق حول هذا الموضوع.

وفيما يتعلق بإيجرامه مارتياليس من الواضح أنها تحمل طابعًا ساخرًا، وخاتمها الذكية acumen في البيت الرابع غير متوقعة³، نظرًا لأنها كان من المنتظر أن تأتي في شكل أمنية، ولكنها في الواقع جاءت في صورة (لعنة deprecatio) ضد كايكيليانوس غير المهذب، الموجهة إليه الإيجرامه⁴. وتكمن الخاتمة غير المتوقعة للقصيد في استخدام اسم أحد الأباطرة، والذي يشترك مع كايكيليانوس في عشقه ونهمه للفطر، ومن ثم إذا كانت الإيجرامه تصور لنا عدم أدب وسلوك كايكيليانوس السيئ، فإن القارئ غير المطلع لابد وأنه سيعتبر كلاوديوس له نفس سلوكيات كايكيليانوس. ولكن مارتياليس لا يهدف إلى هذه المقارنة؛ فهو لا يصف كلاوديوس كما فعل مع كايكيليانوس، لكنه يترك القارئ يستنبط بنفسه أفكاره الخاصة المتعلقة بهذه الشخصية التاريخية.

في الواقع فإن مارتياليس يرتكن على الصورة الموجودة لدى كبار السن كشهود للعيان لأحداث عصر كلاوديوس - إذ لم يمر أكثر من ثلاثين سنة - وكذلك لدى الأجيال الشابة التي لا تعرف شيئًا عن الموروث الشفوي ذي الصلة. وبالتالي فإن الصورة الطريفة والهزلية لكلاوديوس، التي يتم استدعاؤها هنا في قصيدة مارتياليس، لا تبتعد كثيرًا عن الصورة المثيرة للاستياء والمضحكة التي سيرسمها سويتونيوس لاحقًا. ومن ثم ينتاب القارئ إحساس في كلا النصين بأنه يتحرك في نفس المناخ.

وحيث إن مارتياليس كتب هذه الإيجرامه سنة ٨٦/٨٥ م وسخر دون أن ينال عقوبة من أحد الأباطرة الذي تم تكريمه بتصنيفه بين الآلهة وهو تكريم أعاده له فسباسيانوس، والد دوميتيانوس، بعد أن جرده نيرون من هذا الاستحقاق⁵. ويمكن فهم هذا الحدث لو قبلنا بأن الصورة المعروضة ونهاية كلاوديوس كان لهما أساس عند قطاع عريض من الرأي العام أو حتى بين أعضاء الطبقات العليا لروما، وهو رأي تعزز عند سينيكا في

Et ueneno quidem occisum conuenit; ubi autem et per quem dato, discrepat. quidam tradunt epulanti in arce cum sacerdotibus per Halotum spadonem praegustatorem; alii domestico conuiuio per ipsam Agrippinam, quae boletum medicatum audissimo ciborum talium optulerat

¹ Suet. Nero.33.1:

cuius necis etsi non auctor, at conscius fuit, neque dissimulanter, ut qui boletos, in quo cibi genere uenenum is acceperat, quasi deorum cibum posthac prouerbio Graeco conlaudare sit solitus...nam et morari eum desisse inter homines producta prima syllaba iocabatur.

عن جنونه الزائف، انظر: Suet. Claud. 38.3. فيما يتعلق بسخرية دائرة نيرون من ذكرى كلاوديوس، انظر:

Vincent Scramuzza, *The Emperor Claudius*, (Cambridge: Harvard University Press, 1940) 18.

² Suet. Claud. 44.2, Nero, 33.1, Tac. Ann. 12.67, Dio 61.34, Plin. NH. 22.92: Inter ea, quae temere manduntur, et boletos merito posuerim...ueneno Tiberio Claudio principi per hanc occasionem ab coniuge Agrippina dato, Iuv. 5.147f.

³ Mario Citroni, *Martialis: Liber Primus* (Firenze: La nuova Italia, 1975), comm. ad.loc., N. Holzberg, *Martial* (Heidelberg: 1988), 66.

⁴ فيما يتعلق بمشهد كايكيليانوس وهو يتناول عيش الغراب ومدعووه يتطلعون إليه، انظر:

William Fitzgerald, *Martial: The World of the Epigram* (Chicago: University of Chicago Press, 2007), 86.

⁵ Suet. Claud. 45, Vesp.9.

Apocolocyntosis¹ وكذلك عند سويتونيوس في سيره. ومن الممكن تفسير هذا الرأي إذا ما قبلنا ما ورد عند سويتونيوس بخصوص رعاية دوميتيانوس للآداب في سنواته الأولى²، ومن ثم صار متسامحًا مع الدعابات الشعرية والتي لن تتعرض له بالنقد ولن تطال أي عضو من الأسرة الفلافية.

وسواء كانت الآراء السابقة مقبولة أو غير مقبولة، تظل حقيقة أن دوميتيانوس كان رقيبًا أبدًا *perpetuus censor*، وأن خاتمة هذه الإبيجرامات الذكية *acumen* لا تقف عند كونها خاتمة ذكية سياسية، وإنما سخرية سياسية شديدة تشير إلى فكر الشاعر النقدي الجريء والمستقل.

هناك إشارة واحدة فقط في الإبيجرامات 20. III، من بين إشارات ثلاث متبقية إلى كلاوديوس، لها بعض الأهمية³:

Dic, Musa, quid agat Canius meus Rufus:
Utrumne chartis tradit ille victuris
Legenda temporum acta Claudianorum?
An quae Neroni falsus astruit scriptor?

أخبريني، ربة الفن، ماذا يفعل صديقي كانيوس روفوس

هل ينقل إنجازات عصر كلاوديوس

التي لا بد أن تُقرأ إلى الأوراق الخالدة (التي ستبقى).

هل يحاكي تلك الأشياء التي ينسبها الشاعر المخادع لنبيرون؟

يخاطب مارتياليس هنا ربة الفن مطالبًا إياها أن يُحاط علمًا بما يفعله صديقه ومواطنه كانيوس روفوس الشاعر شديد الموهبة والجادبية⁴، ربما يكمن الاحتمال الأول، من بين عدة احتمالات يحصيها مارتياليس في هذه الإبيجرامات، في اشتغال كانيوس بإنجازات عصر كلاوديوس (البيت الثالث)⁵، ولا يستطيع أحد أن يخمن أن ما يكتبه يكتبه كانيوس تاريخًا في صورة نثرية⁶، لأن كل المشار إليهم في هذه الإبيجرامات (نبيرون، فايدروس)، والأجناس الأدبية (شعر إليجي وملحمة وتراجيديا) ينتمون إلى الشعر، ومن ثم من الصعب ربط هذه الأجناس الأدبية الشعرية بكتابة التاريخ. غير أن مارتياليس لم يحدد بدقة الإنجازات التي ينشغل بها كانيوس، لأنه يستخدم المصطلح *acta*

¹ لم يذكر سينيكا في Apocolocyntosis شيئًا عن تسمم كلاوديوس، وبالتأكيد هذا يمكن تفهمه بسهولة، لأنه من الصعب أن يتهم الأسرة الإمبراطورية الجديدة، والتي شارك فيها كمستشار أول للإمبراطور، بجريمة معترف بها، انظر:

Scramuzza, *The Emperor Claudius*, 93.

وكذلك: سنيكا، ميديا-فايدرا-أجامنون، ترجمة ودراسة وتقديم عبد المعطي شعراوي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2002)، 14.

² Suet. Dom. 2.2.

³ يشير مارتياليس في الإبيجرامات VII. 44. 10 إلى نفي سينيكا في عصر كلاوديوس، ولكنه لم يأت بأي وصف له ولم يلمح بأي شيء يتعلق به، وفي الإبيجرامات VIII. 52. 3 العبارة *Drusorum Barbae* بالرغم من أنها تشير بشكل نمطي إلى كل من كلاوديوس ونبيرون، إلا أنها تشير فقط هنا إلى نبيرون وبلاطه، نظرًا لأن كلاوديوس كان قد توفي بالفعل. انظر:

Shackleton Bailey, *Martial. Epigrams*, vol. 2 (Cambridge: Harvard University Press, 1999), ad.loc.

⁴ Groag, "Canius", *RE III,2* (1899) 1438, P. Howell, *Martial*, comm. ad I.62.9.

⁵ بالرغم من أن العبارة *acta temporum Claudianorum* ربما تشير إلى كل أباطرة الأسرة الكلاودية أي من عصر تيبيريوس حتى حتى نبيرون، إلا أن Citroni يعتبر أنها تشير إلى عصري كلاوديوس ونبيرون (Citroni, *Martialis: Liber Primus*, comm. ad. I. 61.9). ولكننا نرى أن الرأي الأصح أنها تشير فقط إلى عصر كلاوديوس.

⁶ يؤكد هذا الرأي كل من (Howell, *Martial*, comm. ad I.18.) و (Citroni, *Martialis: Liber Primus*, comm. ad. I. 61.9).

الذي من الممكن أن يعني "أعمال، وقائع رسمية" وفي نفس الوقت من الممكن أن تعني "مناقب، إنجازات"، ومن ثم يمكن في هذه الحالة يمكن القول بأن المصطلح استخدم في إطار ساخر. الاحتمال الثاني الأكثر قبولاً، فيما لو أخذنا في الاعتبار موقف مارتياليس الرافض دوماً لنيرون والصفة "الشهير *improbus*" الملازمة لفايدروس في البيت الخامس، لذا يتيح لنا البيت الثالث تخمين أننا بصدد قصيدة ساخرة، ولذا فإن ميل الشاعر نحو كلاوديوس يصعب وصفه بأنه خال من السخرية، ونفس الشيء بالنسبة لصديقه سيء السمعة، كانيوس روفوس، الذي لم يكن يفعل شيئاً من الأمور التي يخمنها مارتياليس سوى أنه يضحك (*vis scire quid agat Canius tuus? Ridet,*) (21).

ويمكننا أن نلاحظ بسهولة من خلال النتائج المنفردة لل فقرات المقتبسة عالياً، أن مارتياليس يتجنب الإشارة إلى كلاوديوس باستثناء حالتين (Spec.2.9 و III.20.3)، واللتين علاوة على أنهما يحملان توجهًا ساخرًا (وبخاصة الإشارة الثانية)، لا تقدمان أيه مشاعر سواء أكانت ودية أم عدائية، أو حتى توجهًا مهينًا أو اطرائيًا. يبدو أن الشاعر اختار عرض حدثين تاريخيين في عصر كلاوديوس - وكلاهما في الكتاب الأول ولا يفصل بينهما مسافة كبيرة- ويرتبط كلا الحدثين بشخصه مباشرة وإن كان في الحدث الأول يغيب اسم كلاوديوس. الحدث الأول عن الانتحار البطولي للزوجين آريا وبايتوس (I.13)، والحدث الثاني (I.20) عن الفطر السام الذي أدى إلى موت كلاوديوس، يخص الحدث الأول المصير الشخصي للزوجين بعد محاولة فاشلة لقتل الطاغية، لأن أسرة بايتوس تنتمي إلى المعارضة الرواقية المؤيدة للنظام الجمهوري وليس إلى أي من عائلات الجيش القوية التي تطالب بالعرش، ويتعلق الحدث الثاني بموت كلاوديوس المخزي، والذي يعرضه مارتياليس من خلال شخص يدعى كايكيليانوس الشره وسيئ الخلق والذي كان يتعامل كراع *patronus* بشكل غير لائق ومتكبر ومهين لأتباعه *clientes*.

وبخصوص الإشارات إلى كلاوديوس، قد يتساءل البعض كيف تتم بدون ذكر اسمه، باستثناء الحالة الأخيرة- فمن غير الممكن أن يكون هو شخصيًا غائبًا عن موته- ولسنا نبالغ لو أشرنا هنا إلى أن هذه الصورة التي يقدمها مارتياليس تعود في الواقع إلى غياب كلاوديوس عن الأحداث في عصره، لا نعتقد أن هذا الانطباع يبتعد كثيرًا عن الرأي الموثق الذي سيسجله بعد ذلك بقليل ثلاثة مؤرخون، فوفقًا لتعبير *Syme* فإن تاكيتوس يقدمه على أنه "أفضل قليلاً من دمية¹"، ويظهره كل من سويتونيوس وديون كاسيوس كأسير للبيئة المحيطة به، عاجز أمام زوجته ووزرائه². في الواقع يبدو مارتياليس عالماً بالتاريخ إذ يكتب عن آريا *Arria* مؤيدًا حدثًا سياسيًا شجاعًا وقد قرر أن يعرض أحد شهداء المعارضة ضد القياصرة، وهذا يعتبر واحدًا من الأسباب التي وفقا لـ *Szelest* لن يجني الشاعر من جرائها تأييدًا أو تعاطفًا من قبل دوميتيانوس³.

مارتياليس ونرون

نأتي الآن إلى آخر شخصيات سلالة الأسرة اليوليوكلاودية، نرون (٥٤-٦٨م)، والذي تكثر إشارات مارتياليس إليه وإلى أعماله والبيئة المحيطة به، بشكل غير عادي، بالمقارنة مع القياصرة السابقين، ربما يرجع السبب في ذلك إلى حقيقة أن الشاعر عاش عن قرب الخمس سنوات الأخيرة من حكم نرون، حيث إننا نعلم أن مارتياليس ترك

¹ Ronald Syme, *Tacitus* (Oxford : At the Clarendon Press, 1958), 259.

² انظر : Syme, Tacitus, 260 والذي يشير إلى: Dio 60.2.4, 14.1ff. و Suet. Claud. 25.5, 29.1.

³ H. Szelest, *Domitian und Martial*, 109, 114.

Ultima pars aulae deficientis erat. 10
Reddita Roma sibi est et sunt te praeside, Caesar,
Deliciae populi, quae fuerant domini.

هنا حيث كان التمثال الضخم اللامع يرى السماء عن قرب
وكانت المنصات الطويلة ترتفع في منتصف الطرقات،
هنا كانت تتلأل القصور البغيضة للملك الهمجي،
وكذلك المنزل (الذهبي) الوحيد الذي بقي في المدينة كلها،
وهنا حيث يرتفع المبنى الضخم المهيب للمدرج الشهير،
وحيث كانت بحيرة نيرون،
وحيث ننظر بإعجاب إلى الحمامات الدافئة، هدية (تيتوس) السريعة
تلك البقعة المتعجرفة التي سلبت الفقراء مساكنهم،
هنا حيث يبسط رواق كلاوديوس ظلالة الممتدة،
كان يأتي الجانب الأبعد من نهاية البلاط.
فلقد إستعادت روما نفسها، وابان عهدك كحاكم أيها القيصر،
فإن الرفاهية التي كانت (حكرًا) على السيد/ القيصر صارت من حق الشعوب.

من المعلوم أن كتاب المشاهدات خرج إلى النور في نهاية عام ٨٠ م، وكان مارتياليس قد كتبه بمناسبة افتتاح مدرج فلافيوس (Amphitheatrum Flavium)، المعروف اليوم باسم الكولوسيوم، وكذا بمناسبة مهرجانات المئة يوم التي تلتها، يُعد هذا البناء البيضاوي الضخم والمتوهج^١. ربما الإنجاز المعماري الروماني الأكبر في عصره، وقد خُصص لترفيه الشعب، علاوة على ذلك يمثل بناؤه خيارًا سياسيًا ذكيًا للفلافيين^٢، حيث راعوا أن يتم بناؤه هناك، حيث كانت قصور نيرون البغيضة ترتفع حتى ذلك الوقت، والتي تم هدمها، وإن لم يكن بشكل كامل، وعليه فهو بمثابة إنجاز معماري معجز ومهم - يصفه مارتياليس بأنه المعجزة الأكبر في العالم القديم - وكذلك يعتبر بادرة سياسية مفيدة للجمهور جني تيتوس ثمرتها وحظى بالثناء عليها، ولقد شارك مارتياليس في هذا المهرجان الكبير بوصفه معلقًا على أحداث الساعة، ويجب ألا نفاجئ بعنصر المبالغة الذي يستخدمه الشاعر في هذه الإبيجرامات، لأن إعجابه من الممكن أن يكون حقيقيًا وينطلق من مشاعر فعلية، كما يجب ألا نندهش أيضًا من لهجته الاحتفالية أو الاطرائية، لأن الموروث الأدبي لفن الإبيجراما يجعل موقفه سليماً، لأنه يتبنى المبالغة والمقارنة في المواقف الاحتفالية والاطرائية.

يلعب مارتياليس في الإبيجرامات الثانية من كتاب المشاهدات دور المرشد الذي يقف فوق مكان مرتفع، يكفل له رؤية الكولوسيوم والمنطقة المحيطة، والآثار التي يعرضها^٣ مارتياليس على القارئ أو المشاهد أربعة: التمثال الضخم اللامع (Spec.1) sidereus colossus والمدرج الشهير (Spec.5) conspicuum amphitheatrum

^١ Platner and Ashby, *A Topographical Dictionary of Ancient Rome*, 6ff.; Nash, *Pictorial Dictionary*, 17ff.; Gregory Smith and Jan Gadeyne, *Perspectives on Public Space in Rome, from Antiquity to the Present Day* (Farnham: Ashgate Publishing 2013), 35-36.

^٢ بدأ العمل في هذا البناء الضخم في عهد فسباسيانوس (Suet. Vesp. 9) فيما بين عامي ٧٠ و ٧٦، وبعد وفاته سنة ٧٩ م استكمل البناء ابنه تيتوس وقام بافتتاحه عام ٨٠ م (Suet. Tit. 7).

^٣ من الجدير بالملاحظة استخدام أسماء الإشارة (hic ubi...hic ubi...hic ubi...ubi).

وحمامات تينوس الدافئة (thermae Titi (Spec.7) ورواق كلاوديوس (Claudia porticus (Spec.9) ، ولم تكن نية الشاعر كمرشد الوصف الجغرافي للمكان ولا آثاره. بينما هدفه كان التاريخ، وخاصة تاريخ فترة بعينها، تاريخ قيصر بعينه هو نيرون.

يبدو التمثال الضخم المطلي بالذهب بجماله البراق siderius وارتفاعه الذي يبلغ أربعين مترًا وكأنه يلامس النجوم، أقامه نيرون في البداية عند مدخل vestibulum قصره، ولكن فسباسيانوس قام بتغيير رأسه، الذي كان يشبه في الأصل نيرون، وقام بتغيير الأثر إلى تمثال لإله الشمس، ولذا أصبح الأثر، بعد هذا التدخل، ينتمي إلى منجزات الفلافيين- أو على الأقل هكذا يريد أن يراه مارتياليس. وهناك كما يقول الشاعر، حيث يرتفع الآن التمثال السامق والمنصات العالية في وسط الطريق (البيت الثاني)¹ وحيث تتلأل القصور الكريهة للملك العدواني والتي احتلت المدينة كلها (الأبيات ١-٤).

ولقد بني بيت نيرون الذهبي domus aurea عام ٦٥ م وما يليها، مباشرة بعد حريق روما الكبير وقد احتل مساحة ضخمة²، وعلاوة على الفيلا بغرفها وأروقعتها العديدة، شمل أيضًا بحيرات ومراعي ومزارع كروم وغيرها. والسبب الرئيس لتشييده كما يذكر سويتونيوس هو اشمزاز نيرون من المباني البدائية والمنازل القديمة التي كانت تحيط بالقصور القديمة حتى ذلك الوقت، بالإضافة إلى الطرقات الضيقة غير المناسبة³. ويضيف سويتونيوس (Nero 39.2) بيتين ساخرين كان قد تم تداولهما بسبب المساحة الضخمة التي احتلتها القصور الجديدة:

Roma domus fiet: Veios migrate, Quirites,
si non et Veios occupat ista domus.

لقد أصبحت روما منزلاً واحداً، تحركوا، أيها المواطنون،
إلى فيي Veii، فيما لو لم يحتل المنزل فيي Veii.

ولقد لقب نيرون في هذه الإبيجراماة بوضوح بلقب "ملك rex" ووصف بأنه "عدواني ferus"، ومن المعروف قدر الكراهية أو على الأقل البغض الذي تربى عليه الرومان نحو نظام الملكية⁴. ومن ناحية أخرى فإن عبارة "القصور البغيضة invidiosa atria" لا بد أن تشير إلى المشاعر الشخصية ليس لمارتياليس فقط وإنما إلى قطاع جماهيري عريض. ولقد أخذ فسباسيانوس هذه المشاعر بعين الاعتبار وقرر هدم قصور نيرون.

ويتوقف مارتياليس في الأبيات من الخامس إلى السادس من الإبيجراماة عند الأثر الثاني: وهو المدرج conspicuum amphitheatrum الذي يرتفع بمبناه الضخم كإنجاز متواضع وجليل venerabilis moles. وقبل المدرج توجد بحيرة نيرون، وهي بحيرة صناعية ضخمة مثل البحر شيدها للترفيه الشخصي، ومحاطة بالفيلات والمراعي والغابات⁵.

الأثر الثالث هو الحمامات العامة (البيتان ٧-٨)، والتي قام تينوس ببناءها بمعدلات سريعة جدًا وأهداه إلى

¹ من غير الواضح ماذا يعني هذا البيت بالضبط.

² سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ١٦٤.

³ Suet. Nero 38.1: nam quasi offensus deformitate ueterum aedificiorum et angustiis flexurisue uicorum، incendit urbem.

⁴ انظر أدناه هامش رقم ١٤٠.

⁵ احتلت البحيرة المكان الواقع بين تلي كايليوس Caelius وأوبيوس Oppius ، انظر:

Suet. Nero 31: item stagnum maris instar، circumsaeptum aedificiis ad urbium speciem; rura insuper aruis atque uinetis et pascuis silisque uaria، cum multitudinis omnis generis pecudum ac ferarum.

الشعب الروماني في يوم افتتاح المدرج^١، ويقع أمام الكولوسيوم وفي قلب المكان الذي كان البيت الذهبي domus aurea يشغله، ويضيف مارتياليس هنا معلومة جديدة وهي أن هذا الموقع كان يخص فيما مضى الفقراء، والذين طردوا منه لتتحول منازلهم ومبانيهم إلى مكان ترفيه وحدائق لنيرون: إنها الأرض المتعجرفة superbus ager التي تم تجسيدها هنا ليبين كيف أن عجرفة وغرور السلطة انتقلت إلى أملاكه، وبينما تشير الصفة في البيت الثالث إلى الملك rex، فقد كانت عبارة الملك المغرور superbus rex تشير إلى آخر ملوك التاركويينيين Tarquinius في عهد الملكية.

أما الأثر الرابع والأخير (البيتان التاسع والعاشر) هو رواق كلاوديوس Claudia porticus^٢: هنا حيث يبسط رواق كلاوديوس ظلالة الممتدة،/ كان يأتي الجانب الأبعد من نهاية البلاط.

لقد اكتمل الوصف والإرشاد حتى هنا من خلال عشرة أبيات (الأبيات ١-١٠)، أما البيتان الأخيران اللذان يمثلان الخاتمة الذكية acumen للقصيدة سينهيان الوصف بنتيجة تمثل بالطبع تطوراً منطقياً لما سبق من الأبيات، وتظهر فيها، من خلال مناجاة الشاعر، صورة تيتوس، القيصر الحالي، كضمان لهذه النتيجة: "روما استعادت نفسها، وإبان عهدك كحاكم أيها القيصر، فإن كل ما كان يعتبر ملكية للطاغية قبل ذلك، صارت من حق الشعب ولرفاهيته".

هناك عنصران يلفتان النظر بوضوح في هذه الإيجرامنة. الأول يكمن في النمط الأسلوبي الذي يتعلق بالمقابلة الحادة بين الماضي والحاضر (hic ubi erat- hic nunc est)، والتي تترجم إلى مقابلة بين نيرون وتيتوس والتي نجدها في كل أقسام الإيجرامنة (الأبيات ١-٤، ٥-٦، ٧-٨، ٩-١٠، ١١-١٢). من الجدير بالملاحظة أن الإشارات إلى نيرون في القسم الأول من الإيجرامنة مساوية لتلك التي تخص تيتوس، ولكنها تناقصت تدريجياً لينتهي الأمر بإشارة من كلمة واحدة (domini) في البيت الأخير^٣، ويسعى بهذه الطريقة مارتياليس إلى إظهار تراجع وانتهاء عصر عبودية الشعب الروماني وغلبة عصر تيتوس الجديد المحبوب للشعب، ويتعلق العنصر الآخر بالمصطلح الذي يستخدمه مارتياليس مشيراً إلى كلا الحاكمين، فقد وصف نيرون بالملك rex في البيت الثالث والسيد أو الحاكم dominus في البيت الثاني عشر، أما تيتوس فقد خوطب كقيصر Caesar في البيت الحادي عشر، لو لم يشار إلى هذا الاختلاف داخل نفس الإيجرامنة، فكان ممن الممكن القول بأن اختيار الكلمتين ليس لهما أية دلالة خاصة، إذ نعرف أن كلا الكلمتين rex و dominus بالإمكان استخدامهما بمعانٍ حرفية ومجازية^٤، بينما الكلمة الثالثة Caesar فهي كما هو معلوم، صفة مشتركة لكل الأباطرة الرومان، ولكن من المؤكد أن الشاعر يسعى هنا إلى المقابلة ويريد أن يفرق بين الإمبراطورين على أساس خياراته السياسية المحددة، ولذلك قد يحمل المصطلح هنا طابعاً سياسياً. وهكذا يشار إلى الملك الصارم والعنيف بالمصطلح ferus rex ليعطي معنى الحاكم

^١ Suet. Tit. 7: amphitheatro dedicato thermisque iuxta cele[b]riter extractis munus edidit apparatissimum.

وانظر كذلك:

Platner and Ashby, *A Topographical Dictionary of Ancient Rome*, 533, s.v. Thermae Titi .

^٢ عن رواق كلاوديوس انظر أعلاه هامش ٩٨.

^٣ توزيع الأبيات الأربعة الأولى ٢:٢، بينما يتم تحدد وجود نيرون في البيتين ٥-٦ في نصف بيت (stagna Neronis erant)، وفي البيتين ٧-٨ في عبارة superbus ager، وتوزيع البيتين التاسع والعاشر ١:١، وفي البيتين ١١-١٢ ينحصر الأمر في كلمة domini.

^٤ Mart. I.112: Cum te non nossem, dominum regemque vocabam:/ Nunc bene te novi: iam mihi Priscus eris, X.10.5: Qui me respiciet, dominum regemque vocabo?, II.18.8: Qui rex est, regem, Maxime, non habeat.

المطلق، ومن المعروف أن يوليوس قيصر تم اتهامه، بسبب علاقاته مع كليوباترا، بأنه كان يسعى لأن يصبح ملكاً¹. وعلاوة على ذلك فإن المصطلح يشير إلى الزمن الصعب الذي كان الرومانيون فيه مستعبدين في عهد الملوك الاتروسكيين التاركوينيين².

من الواضح أن المصطلح الثاني dominus بالطريقة التي تم استخدامها يشير إلى السنوات الرومانية المبكرة عندما كانت السلطة الأبوية patria potestas مطلقة وتطبق بطريقة استبدادية وجائرة مع أفراد الأسرة. ومن ثم فإن dominus كان "زعيم المنزل" وعندما تشير إلى القيصر توسع معناها لتعني "سيد، حاكم أعلى، ملك"³. فيما يتعلق بالمصطلح Caesar والذي خاطب مارتياليس به تيتوس، يمثل الطريقة النمطية والأكثر شيوعاً في مخاطبة الأباطرة من عصر أوغسطس فصاعداً. ولو أخذنا في الاعتبار أن تيتوس لُقّب فقط في كتاب المشاهدات بأكمله بالقيصر Caesar والزعيم princeps⁴، بينما في الكتب التالية أخذت مخاطبة دوميتيانوس أبعداً أخرى⁵، ولذا ندرك أن هذه المخاطبات لا تتم عن أية علاقة مباشرة أو توددية للشاعر قبل تيتوس، وعلى الجانب الآخر قد يقول قائل بأن المخاطبة هذه بالإضافة إلى مضمون البيتين الأخيرين للقصيدة تمثل تصريحاً بالأفكار والمشاعر الخاصة بعصر الجمهورية التي يمكن للمرء أن يجدها في عمل مارتياليس، وهناك أبيات مشابهة كتبها الشاعر في بدايات الكتاب الحادي عشر يثني فيها على اعتلاء نيرفا العرش وتملؤه الآمال العريضة بتغيير الأوضاع واستعادة الحرية libertas⁶، من ناحية أخرى، فيما يتعلق بموقف مارتياليس تجاه نيرون من الواضح أنه يتبنى مشاعر المواطنين الذين كانوا يعانون في عهد نيرون وهؤلاء ليسوا بالقليل، نظراً لأن القصر الذهبي يحتل المدينة كلها، كما يذكر في البيت الرابع. وهكذا فإن مشاعره الشخصية الراضية تتفق، في نفس الوقت، مع الشعور العام، يستمر الشاعر على موقفه الراض لنيرون في الإشارة الثانية في كتاب المشاهدات (Spec. 34.11):

Fucinus et diri taceantur stagna Neronis

فلنتوقف بحيرة فوكينوس ونيرون المخيف عن الضجيج.

¹ Cic. Att. 14.11.1: interfecto rege liberi non sumus, Off.3.84: ei regi qui exercitu populi Romani populum ipsum Romanum oppressisset, OLD s.v. rex, 4b.

² Lucan. Phars. 7. 444f.: ex populis qui regna ferunt sors ultima nostra est, / quos seruire pudet, Sen. Clem. 1. 4. 3.

تعلق 95 Miriam Griffin, Nero, *The End of a Dynasty* (London: Routledge, 1984)، بقولها: "تتبع شيشرون الشعور الروماني ضد الملوك منذ طرد التاركوينيين، واستخدام المصطلحين "rex" و "regnum" للإشارة إلى أولئك الذين يمتلكون سلطة مطلقة". ومن بين الملوك يستثني فقط نوما النقي الذي - وفقاً ليوفيناليس - استجاب لنصائح إيجيريا Egeria والكامينا Camenae، انظر: Edward Courtney, *A Commentary on the Satires of Juvenal* (London: Athlone Press, 1980), comm. ad loc.

³ للتطور الدلالي واستخدام هذه الكلمة من البداية بمعنى "مضيف، عائل" إلى أن صارت بمعنى "طاغية" وانتهى الأمر بها لتصبح مصطلحاً سياسياً يشير إلى القياصرة بمعنى، انظر: OLD s.v. dominus (3a).

⁴ Mart.Spec. 5.3 (Caesar), 6.2 (Caesar), 20.4 (o dulce invicti principis ingenium).

⁵ لقب بقيصر Caesar (I. 111.2) وأوغسطس Augustus (IV. 27.1) وجيرمانيكوس Germanicus (V.2.7) ويوبيتر Iuppiter (IV.8.12) وتونانس، اله الرعد Tonans (VI.10.9).

⁶ قارن بصورة رئيسة القصيدتين (XI. 4, XI.5). نفس المشاعر التي تسيطر على تاكينوس (Agric.3.3) فيما يتعلق بالسنوات الأولى من حكم نيرفا.

حيث يثني على المشهد البحري الذي قدمه تيتوس^١ مقارنةً بإياه مع المشاهد السابقة، ومن بينها مشهد نيرون الأحدث،^٢ ينتهز الشاعر هنا الفرصة ليقدم صفة أخرى ذات مضمون أخلاقي مشيراً إلى نيرون بالصفة *dirus* (المخيف)، ومثل ذلك الأمر، من ناحية الأسلوب، ليس له أهمية كبيرة، لأنه لم يصف أحدًا من الشخصيات المذكورة في الإبيجراما (أوغسطس وقيصر) بصفة ما مميزة. فبنفس الصفة سينعت ثيستيس *Thyestes* وطعامه البغيض في الكتاب العاشر (*diri prandia nec refert Thyestae*)^٣، كما وصفت بها أسلحة الحرب الأهلية بين قيصر ويومبي في الكتاب التاسع (*cum gener atque socer diris concurreret armis/ maestaque civili caede maderet humus*)^٤. وهي الصفة التي وصف بها فرجيليوس الايرينيات *Erinyes*، وهوراتيوس هانيبال وأوفيدوس الأجساد المخيفة للعماقة^٥.

ولو كان موقف مارتياليس الراض لنيرون في القصيدتين المذكورتين أعلاه أمر مسلم به، فمن الواضح على الجانب الآخر أن موقفه تجاه تيتوس كان إيجابيًا، إذ يهدف مارتياليس من المقارنة بينهما على مستوى الأخلاق وكذلك على مستوى الانجازات العامة والمشاهد إلى إبراز تفوق تيتوس، ولكن من المنطقي أننا كنا نتوقع مقارنة بين تيتوس وسلفه، أي مع والده فسباسيانوس وليس مع نيرون. ومهما كانت مثل تلك المقارنة غير مناسبة فإننا ندرك دوافع مارتياليس: أولها، أن نيرون يعد ضحية سهلة بعد قرار لعنة الذكرى *damnatio memoriae* الذي صدر ضده. ثانيها، لدي الشاعر أسبابه الخاصة ليصير معاديًا له، ثالثها، طبقًا لشهادة سويتونيوس كان هناك العديد من الذين رأوا في شخص تيتوس، عندما كان لا يزال مساعدًا لوالده، نيرون آخر^٦، وإزاء تلك الظروف فإن دوافع هذه المقارنة تتضح لنا على نحو أفضل، وأن سويتونيوس كان محققًا عندما واصل شهادته مبينًا أن سمعته السيئة تحولت في النهاية إلى ثناء واسع على تيتوس لدرجة أنه لم يعد أحد يرى في شخص تيتوس أية عيوب، بل يرون فقط فضائله^٧.

تعكس خمس إشارات أخرى نفس المشاعر ونفس الموقف الراض في مجموعة مكونة من خمسة إبيجرامات لمارتياليس، وأولها (IV.63):

Dum petit a Baulis mater Caerellia Baias,
Occidit insani crimine mersa freti.
Gloria quanta perit vobis! haec monstra Neroni
Nec iussae quondam praestiteratis, aquae.

بينما كانت الأم كايريليا *Caerellia* تسافر من باولي *Bauli* إلى باياي *Baiae*
قضت نحبها غارقة بجريمة البحر الهائج.

^١ عن المشهد البحري لتيتوس انظر أعلاه الهامش ٦٦.

^٢ انظر أعلاه هامش ٦٧.

^٣ Mart. X. 35. 6.

^٤ Mart. IX. 70. 3-4.

^٥ Verg. Aen. 3.324: *uctificam Allecto dirarum ab sede dearum*, Horat. Carm. 3.6.36: *Hannibalemque dirum*, Ovid. Met. 1.156: *obruta mole sua cum corpora dira iaceret*.

^٦ Suet. Tit. 7. 1: *denique propalam alium Neronem et opinabantur et praedicabant*.

^٧ Suet. Tit. 7. 1: *at illi ea fama pro bono cessit conuersaque est in maximas laudes neque uitio ullo reperto reperto et contra uirtutibus summis*.

أيتها المياه، كم من المجد فقدت! فلقد رفضت هذا الجريمة الوحشية لنيرون على الرغم من أنك أمّرت بذلك.

يستغل مارتياليس فرصة موت كايريليا Caerellia، غرقاً في البحر عند محاولتها السفر من باولي Bauli إلى باياي Baiae، ليذكر بأجريبينا Agrippina التي قام ابنها نيرون بمحاولة فاشلة للتخلص منها بإغراقها، من خلال قارب به عيوب من اختياره للعودة من باياي Baiae إلى باولي Bauli. وبالفعل صُمم القارب كما خطط له بحيث يغرق في وسط البحر، لكن أجريبينا استطاعت أن تتجو بنفسها والوصول إلى البر عن طريق السباحة¹.

ويندب مارتياليس هنا في نبرة اليجية الموت الظالم لإحدى الأمهات، لاعتناً البحر الأثيم وفعله الإجرامي بإغراق كايريليا وسط مياهه، والتي يتهمها بالقسوة: كم من المجد فقدت ابنتها المياه (حيث لم تظهرين شفقة على الأم)²، فقد رفضت الاستجابة لنيرون بتنفيذ مثل تلك الجريمة الوحشية، برغم من أنك تلقيت أمراً بذلك! (البيتان ٣-٤).

يقدم لنا بناء الإبيجراماة زوجاً من الجمل المتعارضة، مثل: رحلة كايريليا التي كانت من باولي إلى باياي - بينما رحلة أجريبينا كانت من باياي إلى باولي؛ وكايريليا وفقاً للشاعر لا يجب أن تموت وقد ماتت - أما أجريبينا يجب أن تموت وفقاً لرؤية نيرون ولكنها لم تمت، ومن الواضح أيضاً أن محاولة نيرون ضد أمه نفسها - الإشارة إلى أجريبينا تمت من خلال كلمة mater (Caerellia) - تكشف عن وحشيته monstrum Neronis، كما تدل على ترتيب مقصود للكلمتين، فوصف نيرون بالوحشي، بعد الصفتين ferus (rex) و dirus في الإبيجرامات السابقة³ لم يعد يصيبنا بالدهشة.

وعلى النقيض، فيما يتعلق بموقف مارتياليس إزاء أجريبينا، لا يوجد أي أثر يدل على ميول عدائية تجاهها، بل قد يقول قائل بأن الشاعر من خلال كلمة monstra، يصنف أجريبينا كواحدة من ضحايا جرائم نيرون.

الإبيجراماة التالية لنفس المجموعة، تتعلق بضحية ثانية من ضحايا نيرون (VII.21):

Haec est illa dies, magni quae conscia partus
Lucanum populis et tibi, Polla, dedit.
Heu! Nero crudelis nullaque inuisor umbra,
Debit hoc saltem non licuisse tibi.

هذا هو اليوم، الذي يعد أحد أيام الميلاد العظمية،

والذي وهب لوكانوس إلى الأمم واليك يا بولا Polla.

أواه، يا نيرون القاسي، ليس هناك موت أبغض (من تلك الميتة)

على الأقل كان لا ينبغي ألا يُسمح لك بتنفيذ هذه الجريمة.

هذه الإبيجراماة - واحدة من ثلاثة في الكتاب السابع عن يوم الميلاد⁴ - موجهة إلى بولا أرجينتاريا Polla

¹ بروي تاكتيوس (Ann.14.3-15.8) بأن نيرون دعا أمه يوليا أجريبينا Julia Agrippina إلى باياي Baiae في مارس ٥٩ م، بدعوى مصالحتها، بينما كان ينوي التخلص منها، وبعد الغداء، أبحرت عائدة إلى باولي. على قارب مفخخ من قبل نيرون لإغراقها، ولكنها استطاعت، عند غرقه، أن تسبح إلى الشاطئ، إلا أنها لم تتفادى الموت. فقد قتلها في نفس الليلة أنيكتوس، معتق ابنها. ولقد كانت رحلة كايريليا في الاتجاه المعاكس (من باولي إلى باياي). قام سويتونيوس كذلك بوصف محاولات نيرون قتل أمه بالتفصيل (4-1-34. Suet).

² Paley and Stone, *Martialis, Epigrammata Selecta*, comm. ad.loc., Rosario Moreno Soldvila, *Martial, Book IV: A Commentary* (Leiden; Boston, Mass.: Brill, 2006), ad loc.

³ Mart. Spec. 2.3, 34.11.

⁴ تمثل الإبيجرامات ٢١ و ٢٢ و ٢٣ مجموعة قصائد مهداة إلى يوم ميلاد لوكانوس، وعن علاقة هذه القصائد الثلاثة بنظيراتها عند سناطيوس (Silv. 2.7) انظر:

Argentaria، زوجة لوكانوس الميت وهي في ذات الوقت راعية مارتياليس. وموضوعها يوم ميلاد (dies natalis) زوجها صديق ومواطن مارتياليس، ولد يوم ٣ نوفمبر ٣٩ م في قرطبة الإسبانية^١، ولو وضعنا في الاعتبار ان الكتاب السابع نشر في ديسمبر ٩٢ م، وأن لوكانوس أُجبر على الانتحار من قبل نيرون في ٣٠ أبريل ٦٥ م^٢، نظرًا لمشاركته في مؤامرة بيسو، يمكننا أن نحسب مرور ٥٣ سنة من يوم ميلاده و٢٦ سنة من يوم وفاته، ويعني هذا أن بولا لا تزال تحترم ذكرى زوجها ملتزمة من الشعارين مارتياليس وستاتايوس أن يقدرانه^٣. ويعني كذلك أن مارتياليس لا يزال على علاقة طيبة مع أسرة الميت وآل انايوس Annaeus عمومًا، محتفظًا في الوقت ذاته بتقدير كامل لموهبة لوكانوس الشعرية، كما يفهم من البيت الأول (magni partus) وكذلك من القصيدتين التاليتين (٢٢ و ٣٢).

وبغض النظر عن التفاصيل النمطية لإبيجرامات يوم الميلاد genethliacon / γενεθλιακό^٤ التي تشتمل عليها الإبيجرامات، يهمننا هنا مناجاة نيرون التي تغطي بيتين من اجمالي أبيات الإبيجرامات، واللذان يحملان نبرة إيجابية^٥، فلقد تمت مخاطبة نيرون على أنه قاس crudelis وأن ميتة لوكانوس أبغض الميتات nulla invisior umbra، وأنه على الأقل في حالة لوكانوس، كان يجب ألا تكون لديه مثل تلك الصلاحية، التي تتيح له الأمر بموته. ويعد هجوم مارتياليس هذا الأكثر قسوة ضد نيرون^٦، ولو أخذنا في الاعتبار التعبيرات المتشابهة لشاعر البلاط ستاتايوس لنفس الحدث (rabidi nefas tyranni!...o dirum scelus! o scelus!)^٧، لأدركنا أنه من جانب الحكومة الرسمية لم تكن هناك قيودًا على مثل هذا النوع من الهجوم على ذكري الممثل الأخير للأسرة الليوليوكلاودية، حيث إن مجلس السناتو أعلن في ذلك الوقت أنه عدو للوطن^٨.

وبناء عليه فإن اختيار كلمات وأماكن محددة، حتى وإن تأثرت بالشعر الاليجي الرثائي، فمن الواضح أنها تعبر عن المشاعر الشخصية التي يحملها الشاعر لنيرون.

في الإبيجرامات التالية (VII. 34) يستخدم نيرون كنموذج لحل إحدى المفارقات:

Quo possit fieri modo, Severe,
 Ut vir pessimus omnium Charinus
 Unam rem bene fecerit, requiris?
 Dicam, sed cito. Quid Nerone peius?
 Quid thermis melius Neronianis? 5
 Non deest protinus, ecce, de malignis,

Sullivan, Literature and Politics, 191f.

¹ Michael von Albrecht. *A History of Roman Literature from Livius Andronicus to Boethius with Special Regard to Its Influence on World Literature*, trans. with Assistance of R.R. Caston and F.R. Schwartz (Leiden, Brill, 1970), 913.

^٢ فيم يتعلق بموت لوكانوس انظر وصف تاكينوس (Ann. 15.70).

^٣ قارن قصيدة ستاتايوس المناظرة (Silv. 2. 7) وانظر أعلاه هامش ١٥٥.

^٤ تُذكر الإبيجرامات بعناصر الرثاء النمطية (العودة إلى العالم السفلي، اللعنات، المخاطبة) في القصيدة الثالثة لكانتولوس.

^٥ عن قصائد يوم الميلاد genethliacon / γενεθλιακό انظر:

Emanuele Cesareo, *Il Carme natalizio nella poesia Latina* (Palermo: Presso l' Autore, 1929).

⁶ Sullivan, Martial, 3.

⁷ Stat. Silv. 2. 7. 100, 104.

⁸ Suet. Nero 49.2.

Qui sic rancidulo loquatur ore:
'Quid tu tot domini deique nostri
Praefers muneribus?' Neronianas 10
Thermas praefero balneis cinaedi.

هل تتساعل يا سيفيروس، كيف يكون ممكناً

أن خارينوس، الأسوأ من بين الجميع، قد فعل

شيئاً واحداً جيداً؟

سأخبرك ويسرعة. من أسوأ من نيرون؟ ٥

وما هو الحمام الأفضل من حمامات نيرون؟

انظر، يتواجد أحد الخبثاء ويتحدث بلغة بغیضة:

ماذا تفضل من بين أعمال سيدنا والهناء؟

أفضل حمامات نيرون الدافئة عن حمام أحد الشواذ. ١٠

تكنم المفارقة في السؤال عن مدى إمكانية قيام خارينوس الأسوأ بين الجميع pessimus omnium بعمل جيد عندما قام ببناء حمام فاخر على مستوى عال، ويقدم مارتياليس بنفسه الإجابة من خلال سؤال بلاغي: هل وجد من هو أسوأ من نيرون؟ ويضيف في إجابته الحقيقة: الحمامات التي شيدها هي الأفضل في روما! ولقد اضطر الشاعر لخوفه من رقابة دوميتيانوس والألسنة البغيضة (7, rancidulo ore)، لوجود احتمال اتهامه بأنه يقلل من شأن المرافق العامة لدوميتيانوس، لطرح سؤال آخر في البيتين الثامن والتاسع، ومن الواضح أنه صيغ بأسلوب ولغة تحمل نبرة تملق، ويقدم في نفس الوقت الإجابة المناسبة والتي تمثل الخاتمة الذكية acumen للقصيدة: (10) Neronianas thermas praefero balneis cinaedi. وهكذا يعود السبب الذي جعله لم يفكر في حمام خارينوس ويفضل عليه حمامات نيرون إلى شذوذ خارينوس^٢.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبارة (pessimus Nero) = Nerone peius، تُجمل تقييم الشاعر العام لنيرون، ومن ناحية أخرى فإن اعترافه بأن حمامات نيرون هي الأفضل (البيت الخامس)، يدل على حياده، كما يعكس لنا في النهاية موضوعية وتجرد الصفات التي استخدمها مارتياليس ضد نيرون.

^١ لا يوجد أي اختلاف بين الكلمتين (thermae و balneum)، وإن كانت thermae الحمامات الدافئة تتبع الدولة دائماً وهي الأفضل تنظيمًا وتحتوي على صالات للألعاب الرياضية والمكتبات وأماكن للترفيه، بينما balnea كانت أصغر حجماً وتتبع في كثير من الأحيان الملكيات الخاصة، انظر:

Ugo Enrico Paoli, *Rome: Its People, Life and Customs, translated by R. D. Macnaghten* (London: Longmans, 1963), 221ff.

من غير المعروف متى بنيت حمامات نيرون لكن الأكثر احتمالاً أنها أفتتحت عام ٦١ م مع الحمامازيوم Gymnasium التي تلحق به من الداخل، يشير مارتياليس إلى هذه الحمامات دائماً (II.48.8, III.25.4, X.48.4, XII.83.5)، قارن: Suet. Nero 12.3, Tac. Ann. 14.47.3, Stat. Silv. 1.5.62.

وانظر:

Platner and Ashby, *A Topographical Dictionary of Ancient Rome*, 533, s.v. Thermae Neronianae.

^٢ خارينوس معروف لنا من الإبيجرام I.77 كمنحرف جنسي cunninglingus، ومن الإبيجرام IV.39 كشخص شديد الثراء.

أما القصيدتان التاليتان في الكتاب السابع (VII. 44 و VII. 45) فهما موجهتان إلى كوينتوس أوفيدبيوس¹
:Nomentum، صديق مارتياليس وجاره في مزرعة نوميونتوم

Maximus ille tuus, Ovidi, Caesonius hic est,
Cuius adhuc vultum vivida cera tenet.
Hunc Nero damnavit; sed tu damnare Neronem
Ausus es et profugi, non tua, fata sequi:
Aequora per Scyllae magnus comes exulis isti, 5
Qui modo nolueras consulis ire comes.
Si victura meis mandantur nomina chartis
Et fas est cineri me superesse meo:
Audiet hoc praesens venturaque turba, fuisse
Illi te, Senecae quod fuit ille suo. 10
(VII.44)

أيا أوفيدبيوس، ها هو صديقك ماكسيموس كايسونيوس،
لا يزال الشمع الحي يحتفظ بلامح وجهه
لقد أدانه نيرون، أما أنت فلقد تجاسرت على إدانة نيرون
واصطحبت أقدار رجل منفي وهي ليست أقدارك:
رفيقًا للمُنْفِي العظيم عبر بحار سكيلا Scylla،
أنت الذي رفضت مؤخرًا الذهب كرفيق له عندما كان قنصلًا.
لو أن الأسماء التي تودع في صفحاتي ستظل على قيد الحياة،
لو كان من الجائز لي أن أبقى رماد جثتي حيًا،
فلتصت الجماهير المعاصرة واللاحقة:
أنت كنت معه بقدر ما كان هو مع سينيكا.

Facundi Senecae potens amicus,
Caro proximus aut prior Sereno,
Hic est Maximus ille, quem frequenti
Felix littera pagina salutat.
Hunc tu per Siculas secutus undas, 5
O nullis, Ovidi, tacende linguis,
Sprevisti domini furentis iras.
Miretur Pyladen suum vetustas,
Haesit qui comes exuli parentis:
Quis discrimina comparet duorum? 10
Haesisti comes exuli Neronis. (VII.45)

الصديق القوي لسينيكا المفوه،

التالي (في المكانة) بعد حبيبه سيرينوس أو السابق عليه،
إنه ماكسيموس الذي كانت تحببه

¹ كل المعلومات الخاصة بكوينتوس أوفيدبيوس Quintus Ovidius تأتي حصرًا من مارتياليس، والذي وفقا له كان مرافقًا لصديقه كايسونيوس ماكسيموس Caesonius Maximus (انظر أدناه هامش ١٦٨) في صقلية، عندما نفاه نيرون، انظر: Mart. I.105, VII.44, 45, 93, IX.52, 53, 98, X.44, XIII.119, PIR V, s.v. Ovidius Q. (No 178), Stein. Ovidius Q., RE XVIII.2, 1942, 1907.

الرسالة الميمونة في صفحات كثيرة.

يجب ألا تتوقف كل اللغات / الألسنة عن الحديث، يا أوفيدوس،

بأنك رافقته عبر أمواج صقلية،^٥

وقد استهنت بغضب الحاكم / السيد الهائج

دع العصور القديمة تتباهي ببلياديس

الذي لازم كرفيق شخصاً نفاه أحد والديه،

من بإمكانه مقارنة مخاطر الاثنين؟^{١٠}

لقد اصطحبت أنت كرفيق واحدا ممن نفاهم نيرون.

تثني القصيدتان - اللتان من المهم قراءتهما معاً^١ - على الصداقة المثالية ومناقب وشجاعة الرجلين اللذين استهاننا بالسلطة ورافقا صديقيهما إلى المنفى. الشخص الأول الذي تم توجيه الإيجمارة إليه هو صديق مارتياليس كوينتوس أوفيدوس Quintus Ovidius الذي تجرأ على إدانة نيرون ausus est damnare Neronem (44.3)، بمعنى أنه غير مكترث بعواقب تقديم المساعدة إلى كايسونيوس ماكسيموس^٢، تتبع مصير صديقه ورافقه في منفاه في صقلية، عندما أُدين من قبل بالنفي relegatio عام ٦٣ م لمشاركته في مؤامرة بيسو. هذا القرار الذي اتخذته بالوقوف معه في شدته يعد دليلاً على جدارة كوينتوس بالاحترام، خاصة وأنه رفض متابعة كايسونيوس في أفضل أيامه إلى مقر عمله الجديد عندما تم تعيينه قنصلاً (44.6).

أما الشخص الثاني فهو Caesennius Maximus الرجل القوي في ذلك الوقت والذي كان صديقاً حميماً لسينيكا (45.1-2)، والذي تحالف معه عندما حُكم عليه بالنفي، وهو ما يتضح من من خاتمة مارتياليس للإيجمارة التي تقد المعنى التالي: فليصت الجميع، المعاصرون واللاحقون، فإنك يا أوفيدوس، كنت معه بقدر ما كان هو مع سينيكا (44.9-10).

وهنا مقارنتان مثيرتان للاهتمام مع شخصيتين من العصور اليونانية القديمة كنماذج تاريخية exempla historica: حيث تتم مقارنة أوفيدوس مع ببلياديس، صديق أوريستيس المخلص (45.8)، بينما يقارن نيرون

^١ المتلقي لكلا الإيجمارتين شخص واحد، كما أن الإيجمارة ٤٥ تبدأ من حيث انتهت الإيجمارة ٤٤. للمزيد انظر:

Nina Mindt, "Horace, Seneca, and Martial: 'Sententious Style' across Genres: Interactions, Intertexts, Interpretations" in Horace and Seneca: Interactions, Intertexts, Interpretations, ed. Martin. Stöckinger, et al. (Berlin: De Gruyter, 2017), 322-23.

^٢ لقد أشار إليه تاكيوتوس (Ann.15.71) باسم كايسونيوس ماكسيموس Caesennius Maximus:

at Caedicia uxor Scaevini et Caesennius Maximus Italia prohibentur, reos fuisse se tantum poena experti.

المعلومات التي نقدمها عن شخصه هي التي يعطيها لنا مارتياليس والذي وفقاً لما ذكره، خدم ك consul suffectus (VII.44.7) من غير المعروف متى تم تعيينه بالضبط، ولكن بالتأكيد قبل ٦٥ م، حيث عوقب بالنفي relegatio إلى صقلية (VII.44.5, 45.5). وكان أيضاً صديقاً حميماً لسينيكا، كما يتبين من من القصيدتين المشار إليهما أعلاه، رافق أو تحالف مع سينيكا عندما نفي إلى كورسيكا على يد كلاوديوس. بينما لم تحفظ رسائل سينيكا المشار إليها في VII.45.4، والتي كان ممن الممكن أن تقدم لنا معلومات أكثر وضوحاً إلى جانب Epist. 13.2.1، انظر:

PIR II, s.v. Caesennius Maximus (No 172), Groag. Caesennius Maximus, RE III.1, (1897), 1307.

بكلتيمنيسترا التي قامت بنفي ابنها أوريسستيس (exuli parentis, 45.9)، ومن الممكن أن تكون المقارنة غير مباشرة لكنها تشير إلى اغتيال بوبايا¹، أو إلى اغتيال كلاوديوس على يد زوجته بالاشتراك مع اجريبينا والدة نيرون، أيا كان الأمر، فإن الإشارة تتعلق بأحداث دامية بين أفراد أسرة واحدة، ومن خلال تلك المقارنتين فإن ما يسعى مارتياليس الوصول إليه يكمن في أن كلتيمنيسترا كنموذج للجريمة لا تمثل شيئاً أمام غضب وهوس نيرون (dominus furens et iratus, 45.7)، وعليه فإن نموذج بيلياديس أقل قيمة من نموذج كوينتوس أوفيديوس. نأتي الآن إلى مجموعه مكونة من ثلاثة إبيجرامات (VIII. 70.8, IX.26.9-10, III.20.4)، اثنتان منهما للثناء على إلقاء نيرفا الخطابى وموهبته الشعرية، علاوة على إشارتهما إلى المهارة الشعرية لنيرون:

Quanta quies placidi, tantast facundia Nervae,	1
Sed cohibet vires ingeniumque pudor.	2
.....	
Sed tamen hunc nostri scit temporis esse Tibullum,	7
Carmina qui docti nota Neronis habet.	8

(VIII.70)

بقدر ما يكون هدوء نيرفا الدمث بقدر ما تكون بلاغته عظيمة،
لكن حيائه يحد من عبقريته وسلطته.

.....
من يطلع على أشعار نيرون المثقف،
يدرك أن نيرفا هو تيبولوس عصرنا.

Audet facundo qui carmina mittere Nervae,	1
Pallida donabit glaucina, Cosme, tibi,	2
.....	
Nec tibi sit mirum, modici quod conscia vatis	7
Iudicium metuit nostra Thalia tuum:	
Ipse tuas etiam veritus Nero dicitur aures,	
Lascivum iuvenis cum tibi lusit opus.	10

(IX.26)

من يتجرأ على إرسال قصائد لنيرفا البليغ
فسوف يقدم لك دهان الجلاوكيوم glaucium الشاحب يا كوزموس،

.....
ولا تتدهش لأن ربة فننا ثاليا، إدراكاً منها (بقدرات)
شاعرها المتواضع تخشى نقدك،

إذ يقال أن نيرون نفسه توجس من أذنيك (الناقدين)،

عندما أصاع الوقت في شبابه في بعض الموضوعات الخليعة.

لقب نيرفا في الإبيجراماة الأولى بـ "تيبولوس العصر"، الأمر الذي يعني أن الإمبراطور المقبل يكتب البيجيات حب، ويتضح من البيت التالي أن هذا التصوير قد يرجع إلى نيرون، وهذا ما كنا سنتأكد منه لو كانت قصائد

¹ Suet. Nero 35.3.

نيرون "المتقف، الحكيم" بين أيدينا^١. تشير الكلمة doctus كمصطلح نقد أدبي إلى الشعر التجديدي^٢، ومن الممكن الممكن أن نقبل السمة الكاليمائية التي يقترحها Sullivan للدائرة الأدبية التي أنشأها نيرون عام ٥٩ م وكان نيرفا أحد أعضائها في ذلك الوقت^٣.

لو غضضنا الطرف في الإيجراماة الثانية عن الأدب الجم والمسافة التي كان يحافظ عليها مارتياليس تجاه نيرفا (البيتان ٧-٨) أو المبالغة في البيتين ٩-١٠، يمكننا أن نستنتج أمرين: الأول أن نيرفا كان لديه حسًا نقديًا تجاه حفلات الإنشاد recitations^٤ التي كانت تعقد في البلاط، والثاني هو أنه كان قد ألف في شبابه شعر غزل أو ربما إيجراما^٥.

ويبين لنا بوضوح من تلك القصيدتين موقف مارتياليس الإيجابي والموضوعي ناحية أعمال نيرون الأدبية- خاصة أن وصفه بالصفة doctus يثير الانتباه إلى أنه ينتمي إلى فئة المتقفين وليس العامة، ولقد كنا نتوقع بعد أن استخدم مارتياليس في الإيجرامات السابقة صفات قاسية (...ferus, dirus, crudelis, furens) ألا يتقيد بمثل تلك الموضوعية، فيكون له نفس رأي تاكيتوس عن قصائد نيرون، الفائل بأنها تفتقد للحبوية والإلهام وأنها كتبت بأسلوب ركيك^٦. ولابد أن ننوه أيضًا إلى أن الكتابين الثامن والتاسع، اللذين تنتمي إليهما القصيدتان المذكورتان أعلاه، كتبا في عصر دوميتيانوس وليس في عهد نيرفا، والذي أثري عليه عند توليه العرش باعتبار عهده إحياء للجمهورية respublica^٧، ومن ثم كان قد تم سريان لعنة الذكرى damnatio memoriae على نيرون، ولا يمكن أن يقول أحد بأن هذا الموقف فرضه الصنف الأدبي، أي موضوع الثناء laudatio الذي تنتمي إليه الإيجراماة .VIII. 70

ربما يقدم لنا سويتونيوس الحل، فعلى الرغم من تنبيهه موقفًا معارضًا للقياصرة ومن بينهم نيرون، يعترف بأن "نيرون لديه عشق حقيقي للشعر، كان يؤلف ببهجة وبدون عناء خاص، ولم ينشر قصائد الآخرين على أنها قصائده كما يعتقد البعض^٨". وهذا يعني أن الرأي السائد حول تذوق نيرون الفني وقدراته كان إيجابيًا على الأقل فيما يتعلق بعامة الناس، خاصة وأن نيرون نفسه كان يتطلع إلى الشهرة^٩، ومن ثم فإن أناس مثل مارتياليس ممن

^١ كان يتم تداول قصائد نيرون أيضًا في عصر سويتونيوس (Suet. Nero 52):

uenere in manus meas pugillares libellique cum quibusdam notissimis uersibus ipsius chirographo scriptis, ut facile appareret non tralatos aut dictante aliquot exceptos, sed plane quasi a cogitante atque generante exaratos; ita multa et deleta et inducta et superscripta inerant.

^٢ أطلقت شعراء الشعر الإليجي اللاحقين صفة doctus على كاتولوس، كما نعتته مارتياليس بها (VIII.73.8).

^٣ J.P. Sullivan, *Literature and Politics*, 31ff., 74ff., Sullivan, *Martial*, 47, 107.

عن إحياء الآداب في عصر نيرون وأعضاء دائرته، انظر: Griffin, *Nero*, 143ff.

^٤ فهم هذا ضمنا من استخدام كلمة aures في البيت التاسع من الإيجراماة IX.26.

^٥ لو أخذنا في الاعتبار ازدهار فن الإيجراما في هذا العصر، من الممكن أن نعتبر أن مارتياليس يقصد هذا من عبارة lascivum .opus

^٦ Tac. Ann. 14.16: quod species ipsa carminum docet, non impetu et instinctu nec ore uno fluens, Sullivan, *Literature and Politics in the Age of Nero*, 29f.

^٧ Mart. XI. 4.7: hunc omnes servate ducum, servate senatum.

^٨ Suet. Nero 52.

^٩ Suet. Nero 53: Maxime autem popularitate efferebatur, omnium aemulus, qui quoquo modo animum uulgi mouerent .

كانوا يتابعون بلا شك ظهوره العام الكثير في مهرجان النبرونيا Neronia والمهرجانات الأخرى، تأثروا بموهبته¹. وهناك سبب آخر من الممكن أن يفسر موقف مارتياليس الإيجابي. كانت هناك علاقات طيبة تجمع نيرفا بنبيرون وان كان يكبره ببضعة سنوات، ونظرًا لأنه كان يشغل وظيفة praetor designatus، بالمشاركة مع تيجيلينوس Tigillinus، كان من أوائل من شاركوا في قمع مؤامرة بيسو، وهو العمل الذي كرم لأجله بوسام الانتصار ornamenta triumphalia، وكذلك بتمثال في الفوروم Forum وفي القصر²، ومن ثم عندما يوجه مارتياليس كلامه لنيرفا ويشير إلى ذلك العصر، ويقدم نبيرون في صورة مختلفة عما هو عليه في أرض الواقع، على الأقل فيما يتعلق بموهبته الفنية متعددة الجوانب، سيعد ذلك تشويهًا للحقيقة، التي يعرفها كل من نيرفا والشاعر نفسه.

ومن ناحية أخرى يمكننا تقديم تفسير لموقف مارتياليس الراض لنبيرون فيما يتصل بالصفات المسيئة، والتي رأيناها تصفه على الصعيد السياسي والأخلاقي. لدينا شهادة لسويتونيوس بأنه عندما أُعلن موت نبيرون "كان هناك ابتهاج شعبي كبير بهذه المناسبة، حيث تدفقت جماهير كثيرة حول المدينة بقبعات فوق رؤوسهم (الخاصة بالإعتاق manumissio). لكن لم يتغيب البعض ممن كانوا يزينون قبره بزهور الربيع والصيف لفترة طويلة، وكانوا يضعون في بعض الأحيان تماثيله متدثرة بالتوجا الإمبراطورية فوق المنصة (في الفوروم). ولقد كانت أوامره سارية، وكأنه لا يزال حيًا أو قد يعود بعد قليل لمعاينة أعداءه"³.

ويواصل سويتونيوس بعرض حادثة غريبة، يتذكرها شخصيًا، لأنها وقعت عندما كان شابًا، فيقول إنه بعد عشرين سنة من وفاة نبيرون، سنة ٨٨م، ظهر شخص يزعم أنه نبيرون⁴. وتم التأكيد على هذه الحادثة عند تاكيتوس تاكيتوس (Hist.1.2.1)، الذي يضيف حادثتين مماثلتين، الأولى وقعت عام ٦٩م، أي بعد وفاة نبيرون بسنة والثانية في عصر تيتوس ٨٠م⁵.

كل هذا يعني أنه بعد عشرين أو خمسة وعشرين سنة من موت نبيرون، بغض النظر عن أن اسمه كان بغيضا لشريحة كبيرة من الشعب الروماني - كان لا يزال هناك الكثير من مؤيديه - معظمهم أعضاء مجلس السناتو - وكانوا يروجون لثائعات عديدة حول اسمه⁶، ولقد كان من صالح الأسرة الفلافية القضاء على هذه الشائعات وكسب

¹ ليس من قبيل المصادفة أنه اعتبر كذلك ذو كفاءة تضارع أبولون في الموسيقى، وهيلبوس في سباق عربات الخيول، ويخطط لمنافسة هيركليس (Suet. Nero 53).

² Sullivan, Literature and Politics, 32, cf. Tac. Ann. 15.72.1.

³ Suet. Nero. 57.1.

ولقد تأكدت شهادة سويتونيوس المذكورة أعلاه عند تاكيتوس (Hist. 1.4-5).

⁴ Suet. Nero. 57.2.

⁵ Suet. Nero. 2.8.

ويضيف Brian Warmington, Suetonius: Nero Bristol: Bristol Classical Press, 1977), 117f. بأنه تسربت نبوءة إلى النصوص العبرانية وبالتالي أسفار المسيحيين بأن نبيرون سيعود مع نهاية العالم كمنذر بالمسيح الدجال.

⁶ وهناك شهادة ذات علاقة يقدمها مارتياليس عن صديقه ومواطنه كانيوس روفوس (III. 20. 1-4):

Dic, Musa, quid agat Canius meus Rufus :/ Utrumne chartis tradit ille victuri/ Legenda temporum acta

ود هذه الجماهير، ومن ثم كان افتتاح الكولوسيوم والحمامات العامة ومعابد متنوعة وغيرها من الأعمال العامة، التي أنجزها فسباسيانوس، وكانت تخدم سياسة الصالح العام، والتي كان نيرون قد مارسها بأفضل طريقة ممكنة¹. ولذا من الواضح أن موقف مارتياليس الرافض تجاه نيرون يخدم دعاية الفلافيين أكثر بالطبع مما يفيد الشاعر الذي لديه أسبابه الشخصية التي لا تجعله وديًا ومتعاطفًا مع ذكرى نيرون كما أوضحناها أعلاه.

الخاتمة:

من خلال دراسة تحليلية للإيجرامات التي تشير إلى أباطرة الاسرة اليوليوكلاودية يمكننا لقاء الضوء على موقف مارتياليس من أباطرة هذه الأسرة، وكذلك موقفه من الإمبراطور دوميتيانوس. فمن بين ست أباطرة تشملهم قائمة هذه الأسرة لا يظهر اسم تيبيريوس وكاليجولا على الإطلاق في إيجرامات مارتياليس، ويبدو أن مرد ذلك يعود إلى تأثيرهما المحدود. وفي المقابل فإن نيرون الممثل الأخير لهذه الأسرة يظهر عند مارتياليس أكثر بكثير من كل الأباطرة الآخرين، فموقف الشاعر تجاهه وتجاه سياساته وسلوكياته سلبى دائمًا، وكثيرا ما ينعته بأسوأ الصفات: فهو في كتاب المشاهد ملك همجي *ferus rex* (Spec. 2. 3) وشرس *dirus* (Spec. 34. 11)، وفي الكتاب السابع، قاسي *crudelis* (VII.21)، وسيد هائج *dominus furens* (VII.45.7)، ووحشي *monstrousus* (IV.63)، والأكثر سوءا *Peius* (VII. 34. 4)، وهي صفات تجعله بغيضًا *invidiosus* (Spec. 2. 3)، وأكثر بغضًا *invisior* (VII.21.3). ولكن فيما يتعلق بتعليمه وقدراته التعليمية فهو يقدره مستخدمًا الصفة المميزة "المثقف-العالم" *doctus* (VIII. 70. 8) والتي تُمنح فقط لقليل من الشعراء الرومان، وتعكس هذه الصفة موضوعية وحيادية النقد عند مارتياليس، الأمر الذي يجعلنا نتقبل كل الاشارات السلبية لنيرون باعتباره كاتبًا محايدًا، وإن كانت معظم هذه الاشارات السلبية تعتمد على تجربته الشخصية المؤلمة عندما جاء إلى روما، وهناك سبب آخر ربما أسهم في قيام مارتياليس بالتعبير بحرية عن رأيه في نيرون، وهو الحكم الذي أُدين به نيرون وهو لعنة الذكرى *damnatio memoriae* ومن ثم فإن مارتياليس لم يكن خائفًا من رقابة دوميتيانوس في معرض تعبيره عن مشاعره الحقيقية تجاه آخر أباطرة حكم الاسرة اليوليوكلاودية.

يظهر الإمبراطور كلاوديوس من خلال سبعة اشارات سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة، ومن خلال هذه الاشارات لا نلمح من قبل مارتياليس موقفًا عدائيًا او مؤيدًا تجاهه، ولم ينعته مارتياليس بأية صفة عكس ما حدث مع نيرون، ومن ناحية أخرى نلمح سخرية مارتياليس وتهكمه من موت كلاوديوس سيء الحظ جراء فطر اجرينيينا المسموم (I.20)، ومن ثم تعكس لنا مثل تلك الإشارة إدراك مارتياليس لكل الشائعات المتداولة حول موت

Claudianorum ?/ An quae Neroni falsus astruit scriptor?

لو كان كانبوس أيضًا مؤرخًا سندرك أنه موقفه في هذه الإيجرامات مؤيدًا لنيرون لأنه يستحضر ذكراه التاريخية، وهذا يسري في الحالتين سواءً أكانت عبارة *falsus scriptor* تشير إليه كشاعر أو كمؤرخ، انظر:

Sullivan, Literature and Politics, 53.

¹ كان نيرون له شعبية خاصة، ليس فقط بسبب المشاهد العامة التي كان يقدمها باستمرار، وإنما بسبب مشاركته الشخصية فيها (Suet. Nero 53).

كلاوديوس كما وصفها بعد ذلك سويتونيوس.

والجدير بالتنويه هو أن مارتياليس حينما يقرر عرض نموذج *exemplum* الانتحار البطولي للزوجين آريا - بايتوس *Arria - Paetus* (I.13) والذي وقع إبان حكم كلاوديوس، لم يكن يهدف لمجرد عرض وجهة نظر أدبية في انتحار مؤثر لإحدى السيدات كزوجة بطل، ولكن كان يهدف إلى تكريم اثنين من ممثلي المعارضة الرواقية وموتهم البطولي الذي جاء كنتيجة لمحاولة قتل الطاغية. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الإبيجرام (I.13) من حيث التصنيف تأتي على مقربة واضحة من الإبيجرام (I.8) والتي يرفض فيها مارتياليس فكرة الإنتحار في عصر دوميتيانوس كموقف رواقى ثابت، كما هو الحال في نموذج المعلمين الكبارين كاتو وثراسيا *Cato - Thrasea*، فإننا ندرك أن هذا التناقض الظاهري للشاعر يعكس إعجابه بنموذج آريا - بايتوس *Arria - Paetus*، وكذلك يكشف الضوء عن موقفه الصادق تجاه أحد النماذج السياسية المحترمة التي توقر الموروث الروماني المتعلق بالنظام الجمهوري.

وبالعودة إلى أوغسطس، من إجمالي إحدى عشرة إشارة - معظمها لا يدل على شيء، لأنها تخص مفردات تاريخية معاصرة مثل (شهر أوغسطس، مسميات نصب تذكارية) - تبدو صورة أوغسطس ايجابية: فهو يصبح معيارًا لمقارنة ايجابية وتكريمية لمشهد بحري قدمه تيتوس (Spec. 34)، كما يصير نموذجًا أدبيًا يقتفى أثره الشاعر نفسه الذي يسعى إلى استقلال فنه وتدعيم لغته الابجرامية (وكذلك حمايته من الرقيب الأبدى *ensor perpetuus*)، عندما يشير مستحسنًا إلى صراحة الكلمات الرومانية *Romana simplicitas verborum* أي الى لغة الإبيجراما *epigrammaton linguam* في شعر أوغسطس (XI. 20).

أما يوليوس قيصر فقد تمت الإشارة إليه تسع مرات عند مارتياليس. منها ثلاثة إشارات مهمة (VI.32, IV. 61, 70)، تتفق تمامًا فيما بينها من خلال موضوع الحرب الأهلية بين قيصر وبومبي (كاتو) أعوام 49 - 44 ق.م. ذلك الصراع الذي كان دائما موضع خلاف بين البلاط الإمبراطوري والمعارضة الرواقية التي كانت تؤيد بومبي والتي اعتبرت كاتو قدوة لها. تكمن الفكرة الرئيسية للإبيجرام (VI.32) في انتحار كاتو الفيلسوف الرواقي والمؤيد الأخير للنظام الجمهوري، وهدف مارتياليس هو التقليل من قيمة وأهمية انتحار كاتو الذي يعرضه على أنه عمل أناني، وبالتالي لا يمكن مقارنته بانتحار اوتو *Otto* الذي برغم أنه كان انسانًا ضعيفًا (VI.32. 2) *mollis* فقد ضحى بنفسه لتجنب مذبحه للشعب الروماني، فسخرية مارتياليس واضحة: فالرواقيون يباهون بأن كاتو كان أرفع شأنًا من يوليوس قيصر بينما هو أقل شأنًا من أوتو الضعيف *mollis Otto*.

يقرر مارتياليس في الإبيجرام (IX.61) مدح وتمجيد يوليوس قيصر وينعته بالزائر الذي لا يقهر *invictus hospes* لوطنه والذي غرس بيده المباركة شجرة الدُّلب القيصرية المقدسة دائمة الخضرة وأصبح المؤسس والسيد *auctor et dominus* والذي تقر الطبيعة كذلك بألوهيته، فهو قيصر عظيم *magnus Caesar* والجد الأعلى لكل القياصرة وقاهر بومبي وأنصاره. وهو إذا كان قاهرا لبومبي فهو في نفس الوقت والد زوجته (IX. 70)، ونرى بوضوح في هذه الإبيجرام الانتقال من المستوى السياسي إلى المستوى الإنساني، ومن الواضح كذلك اختلاف طريقة التفكير في الإبيجرامتين، فلقد رويت الأرض الحزينة بدماء الحرب الأهلية بين القائدين الزوج ووالد زوجته (حموه)، اللذين تقاتلا من أجل السلطة (IX. 70. 3 - 4). مثل تلك المذبحة الجمهورية أصبحت تنتمي بالفعل إلى الماضي بينما يسود، في عصر مارتياليس، السلام والسعادة.

وهكذا فإن شخصية قيصر يتم تقديمها من خلال وجهتي نظر مختلفتين، الأولى كإنسان فهو أقل ربما شأنًا من

كانو وكان لا يجب أن يتورط في الحرب الأهلية وكقائد فهو لا يقهر invictus وقيصر عظيم magnus Caesar ولذا فهو يستحق ما يضيف عليه من قداسة.

ومن الممكن أن نخلص من الإبيجرامات الثلاثة السابقة إلى نتائج محددة فيما يتعلق بعلاقة مارتياليس بدوميتيانوس والتي تستحق أن نعرضها باختصار.

رأينا في الإبيجرامة الأخيرة IX. 70 أن مارتياليس يقارن الوقت العصيب للحرب الأهلية مع وقت السلم في عهد دوميتيانوس، وفي نهاية الإبيجرامة IX. 61 فإن شجرة الدلب ترمز ليس فقط ليووليوس قيصر ولكن أيضًا لدوميتيانوس نفسه الذي يحرضه الشاعر ضد أنصار بومبي أي المعارضين الحاليين له، ويقدم له النصح بالاعتماد على أعماله إذا أراد أن يكون نداءً لسلفه، في الإبيجرامة VI. 32 عندما حاول انتقاد انتحار كاتو يبدو أنه كان يرد على تعاليم المعارضة الرواقية فهو يدعم بوضوح موقف قيصر، وبرغم أن موقف الشاعر في الإبيجرامات VI. 32 و IX. 61 و IX. 70 محابياً لقيصر، إلا أنه موقف مهذب ونبيل.

وفي إبيجراماته المعنية بأوغسطس يتحول موقفه من دوميتيانوس من مجرد ناقد إلى ناقد قاس، ففي الإبيجرامة II. 59 البيت الرابع عبارة "الإله بنفسه يأمرك بتذكر الموت ipse iubet mortis te meminisse deus" ويبدو أن هذه العبارة تلمح إلى مرسوم دوميتيانوس الصادر في ٨٥ / ٨٦ م والذي بموجبه أصدر أوامره بأن يعنت بلقب المولى والرب dominus et deus. وفي الإبيجرامة IX. 34 فهو على النقيض يقبل تمامًا بالبانشيون الأوغسطي Augusti Flavia temple poli الذي بناه دوميتيانوس. وفي الإبيجرامتين VI. 7 و VI. 22 ينتقد قانون دوميتيانوس الخاص بمكافحة زينة الزنا Lex Iulia de adulteriis الذي أراد دوميتيانوس بإصداره أن يبدو كأوغسطس آخر يقوم بإصلاح الاخلاق في عصره. بينما النقد الأكثر حدة، وإن كان ممزوجاً بالثناء، يظهر في VII. 66 - في كتاب أهاده لدوميتيانوس - حيث يكشف السياق عن تفضيل مارتياليس لنظام الجمهورية الذي كان ينتخب مجلس السناتو الجمهوري القناصل ولم يكن يعينهم.

ومن الإبيجرامات التي تخص كلاوديوس نجد أن الإبيجرامة I.13 لها أهمية خاصة لأن موضوعها الخاص بانتحار آريا-بايتوس Arria-Paetus والذي يعد من خلال مصطلحاته السياسية، تلميحاً للقتل الاستبدادي، بالرغم من أن مارتياليس يقدم هذا الموضوع من خلال نموذج للزوجة الفاضلة exemplum virtutis matronae. ويضيف هذا الموقف احتراماً وتوقيراً لمارتياليس الذي يتجرأ أثناء حكم دوميتيانوس في عرض مثل تلك الإبيجرامة السياسية التي يثني من خلالها على أناس من المعارضة الرواقية الجمهورية.

وبناء عليه فمن بين الإبيجرامات، التي تناولناها بالدراسة أعلاه، وتغطي الكتاب الأول حتى التاسع، وخاصة تلك التي تحمل مضموناً أو نقداً سياسياً، يتضح أن موقف مارتياليس نحو دوميتيانوس لم يكن موقف المتملق للبلاط الإمبراطوري على طول الخط، بل هو شاعر واع ومفكر سياسي يتمتع بالقدرة على التفكير باستقلالية ويمتلك شجاعة توجيه النقد.

المصادر والمراجع

أولاً - القواميس والموسوعات المشار إليها باختصار:

- OLD: Oxford Latin Dictionary, ed. P. G. W. Glare, Oxford: Oxford Clarendon Press, 1982.
- PIR2: Prosopographia Imperii Romani saec. I.II.III, 2nd ed. Berlin: de Gruyter, 1958.
- RE: Paulys Real-Encyclopädie der classischen Altertumswissenschaft, neue Bearbeitung, ed. G. Wissowa. Stuttgart: J.B. Metzler, 1894-1978.
- TLL: Thesaurus Linguae Latinae. Lipsiae: Teubner, 1900-.

ثانياً - المصادر:

- Miller, Walter. Cicero: De Officiis. Cambridge: Harvard University Press, 1964.
- Bömer, Franz. P. Ovidius Naso: Metamorphosen. Kommentar: Buch I - III. Heidelberg: 1969.
- Braund, Susanna Morton. Juvenal and Persius. Cambridge: Harvard University Press, 2004.
- Duff, James Duff. Lucan: The Civil War (Pharsalia). Cambridge: Harvard University Press, 1977.
- Fairclough, H. Rushton. Virgil: Eclogues, Georgics, Aeneid: Books 1-6. Cambridge: Harvard University Press, 1935.
- Foster, B. O., Livy: History of Rome, Vol. I Books 1-2. Cambridge: Harvard University Press, 1919.
- Heseltine, Michael and Rouse, W. H. D. Petronius: Satyricon; Seneca: Apocolocyntosis. Cambridge: Harvard University Press, 1913.
- Jackson, John, Tacitus: Annals 13-16. Cambridge: Harvard University Press, 1937.
- Jones, W. H. S. Pliny: Natural History, Volume VI Books 20-23. Cambridge: Harvard University Press, 1951.
- Radice, Betty. Pliny the Younger: Letters, Volume II Books 8-10, Panegyricus. Cambridge: Harvard University Press, 1969.
- Reynolds, Leighton. Annaei Senecae: Dialogorum Libri Duodecim. Oxford University Press: 1977.
- Rolfe, John C. Suetonius Vol. II The Lives of the Caesars, II: Claudius, Nero, Galba, Otho, and Vitellius. Vespasian. Titus, Domitian. Cambridge: Harvard University Press, 1914.
- Rudd, Niall, Horace: Odes and Epodes. Cambridge: Harvard University Press, 2004.
- Shackleton Bailey. Cicero: Letters to Atticus, 4 vols. Cambridge: Harvard University Press, 1999.
- Shackleton Bailey, Martial, Epigrams, 3 vols. Cambridge: Harvard University Press, 1993.

ثالثاً- المراجع العربية:

- إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان: ١٣٣-٤٤ ق.م. الجزء الثاني (منشورات الجامعة الليبية: ١٩٧٣).
- سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والاجتماعي (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٩١).
- سنیکا: ميديا، فايدرا، أجامنون، ترجمة ودراسة وتقديم عبد المعطي شعراوي (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢).

رابعاً- المراجع غير العربية:

- Abdel Gayed, Aly Hassan. "Σχόλια στο 10^ο Βιβλίο Επιγραμμάτων του Μαρτιάλη." δ.δ., Α.Π.Θ, 2003.
- Ahl, Frederick. Lucan: An Introduction. London: Cornell University Press, 1976.
- Albrecht, Michael von. A History of Roman Literature from Livius Andronicus to Boethius with Special Regard to Its Influence on World Literature. Translated with Assistance of R.R. Caston and F.R. Schwartz. Leiden, Brill, 1970.
- Calpino, Teresa Jeanne. "The Lord Opened Her Heart: Women, Work, and Leadership in Acts of the Apostles." PhD Diss., Loyola University, 2012.
- Cesareo, Emanuele. Il Carme natalizio nella poesia Latina. Palermo: Presso l' Autore, 1929.
- Citroni, Mario. Martialis: Liber Primus. Firenze: La nuova Italia, 1975.
- Clarke, Martin Lowther. The Roman Mind, Studies in the History of Thought from Cicero to Marcus Aurelius. New York: Norton, 1968.
- Courtney, Edward. A Commentary on the Satires of Juvenal. London: Athlone Press, 1980.
- Dixon, Jessica Elizabeth "The Language of Roman Adultery." PhD Diss., University of Manchester, 2012.
- Dominik, Jon Hall William. A Companion to Roman Rhetoric. Malden, Mass.: Blackwell, 2007.
- Eden, P., Seneca Apocolocytosis. Cambridge: Cambridge University Press, 1984.
- Edwards, Catharine. Death in Ancient Rome. New Haven: Yale University Press, 2007.
- Ehrhardt, Christopher. "Two Quotations by Augustus Caesar," Liverpool classical monthly 11, (1986): 132-133.
- Fitzgerald, William. Martial: The World of the Epigram. Chicago: University of Chicago Press, 2007.
- Fordyce, James. Catullus: A Commentary. Oxford: Oxford Clarendon Press, 1961.
- Garthwaite, John. "Domitian and the Court Poets Martial and Statius." PhD Diss., Cornell University, 1978.
- Garthwaite, John. "Martial, Book 6, on Domitian's Moral Censorship," Prudentia 22, (1990): 13-22.
- Griffin, Miriam. Nero, The End of a Dynasty. London: Routledge, 1984.

- Grimal, Pierre. Λεξικό της Ελληνικής Ρωμαϊκής Μυθολογίας, εκδ. Β. Άτσαλος. Θεσσαλονίκη: University Studio Press, 1991.
- Henriksen, Christer. "Martial, Book IX: A Commentary." PhD Diss., Uppsala University, 1999.
- Hofmann, Walter. "Martial und Domitian," *Philologus* 127 (1983): 238 – 246.
- Howell, Peter. *Martial, A Commentary on Book One*. London: Athlone Press, 1980.
- Kay, Nigel. *Martial, Book XI*. London: Duckworth, 1985.
- Langlands, Rebecca. *Sexual Morality in Ancient Rome*. Cambridge: Cambridge University Press, 2006.
- McAlindon, D., "Senatorial Opposition to Claudius and Nero," *American Journal of Philology* 77, no. 2 (1956) 113-132.
- Mindt, Nina. "Horace, Seneca, and Martial: 'Sententious Style' across Genres: Interactions, Intertexts, Interpretations" in *Horace and Seneca: Interactions, Intertexts, Interpretations*, edited by Martin. Stöckinger, Kathrin Winter and Andreas Tom Zanker. Berlin: De Gruyter, 2017.
- Mooney, George. W. *Suetonii Tarnquilli: De vita Caesarum libri VII-VIII*. London, Longmans: 1930.
- Nash, Ernest. *Pictorial Dictionary of Ancient Rome*. New York: Hacker Art Books, 1981.
- Paley, Frederick Apthorp and Stone, William Henry. *Martialis: Epigrammata Selecta*. London: George Bell & Sons, 1892.
- Paoli, Ugo Enrico. *Rome, Its People, Life and Customs*. Translated by R. D. Macnaghten. London: Longmans, 1963.
- Pentzer, Mitchell Reece. "Dark Humor in Imperial Latin Literature." PhD Diss., University of Colorado: 2015.
- Piero Pecchiura, *La Figura di Catone Uticense nella letteratura Latina*. Torino: G. Giappichelli Editore, 1965.
- Platner Samuel Ball and Ashby Thomas A *Topographical Dictionary of Ancient Rome*. Roma: L'Erma di Bretschneider, 1965.
- Sandbach, Francis Henry. *The Stoics*. London: Chatto & Windus, 1975.
- Scramuzza, Vincent. *The Emperor Claudius*, Cambridge: Harvard University Press, 1940.
- Smith, Gregory and Gadeyne Jan. *Perspectives on Public Space in Rome, from Antiquity to the Present Day*. Farnham: Ashgate Publishing, 2013.
- Soldvila, Rosario Moreno. *Martial, Book IV: A Commentary*. Leiden; Boston, Mass: Brill, 2006.
- Stephen, Ricks. "Dexiosis and Dextrarum Iunctio: The Sacred Handclasp in the Classical and Early Christian World," *FARMS Review* 18 no.1 (2006): 432-33.
- Stöckinger, Martin, et al, *Horace and Seneca: Interactions, Intertexts, Interpretations*, edited by Stöckinger, Martin, Winter, Kathrin and Andreas Tom Zanker. Berlin: De Gruyter, 2017.
- Sullivan, John Patrick. *Martial: The Unexpected Classic*. Cambridge: Cambridge University Press, 1991.

- Sullivan, John Patrick. Literature and Politics. London: Cornell University Press, 1985.
- Syme, Ronald. Tacitus. Oxford: At the Clarendon Press, 1958.
- Szelest, H., "Domitian und Martial," organ Polskiego Towarzystwa Filologicznego, 62 (1974): 105-114.
- Τρομάρας, Λεονίδας. Ανθολογία Λατινικού Επιγράμματος. [ηλεκτρ. βιβλ.] Αθήνα: 2015: Σύνδεσμος Ελληνικών Ακαδημαϊκών Βιβλιοθηκών, Διαθέσιμο στο: <http://hdl.handle.net/11419/2003>.
- Τρομάρας, Λεονίδας. "Η Περιγραφή του Λοιμού του 65 μ.Χ. από τον Τάκιτο (16.13.1-3)," Αριάδνη 4, (1988): 234-243.
- Vogel-Weidemann, Ursula. "The Opposition under the Early Caesars," Acta Classica 22, (1979): 91-107.
- Warmington, Brian. Suetonius: Nero. Bristol: Bristol Classical Press, 1977.
- Wellesley, Kenneth. The Long Year A.D. 69. London: Routledge, 1975.
- White, Peter. "Aspects of Non-Imperial Patronage in the Works of Martial and Statius" PhD Diss., Harvard University, 1972.
- Williams, Craig. Martial: Epigrams, Book Two, Edited with Introduction, Translation, and Commentary. Oxford: Oxford University Press, 2004.
- Wirsubski, Ch., Libertas as a Political Ideal at Rome during the Late Republic and Early Principate. Cambridge: Cambridge University Press, 1950.
- Γρόλλιος, Κωνσταντίνος. *Οράτιος, Οι Ωδές, I*. Αθήνα: Εστία, 1986.